حامد الشريف
رئيس محكمة سابقاً
ماجستير في القانون
محامي

فن المرافعة

وصناعة المحامي المترافع أمام المحاكم الجنائية

١٩٩٣



الدار البيضاء للطباعة والنشر
ت ٢٨٢٥٠٤٦ ـ القاهرة

حامد الشريف
رئيس محكمة سابقاً
ماجستير في القانون
محام

فن المرافعة

وصناعة المحامي المترافع
أمام المحاكم الجنائية

١٩٩٣

الدار البيضاء للطباعة والنشر
ت ٢٨٢٥٠٤٦ — القاهرة



« رب اشرح لى صـــــدرى ويسر لى أمــرى واحلل

عقــدة من لســـانى يفقهوا قــولى .. »

(صدق الله العظيم)

قرآن كريم

الإهداء

الى محـــامين مصر :

مصـــــابيح العـــدالة وشـــموعها

رفقــاء أشرف رســالة وأنبل مهنة

مهنــــة الجبــــابرة ..

أهــدى هــذا الكتاب

المـؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

خير بداية دائما هى البدء بحمد الله جلت قدرته على سابغ فضله ونعمته وفائض احسانه ورعايته عليه عز وجل اعتمادنا وبه سبحانه وتعالى اعتزازنا . وصلاة وسلاما على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى الأمى المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد :

لقد وضع هذا الكتاب للاجابة على سؤال بلغ مبلغا كبيرا من الأهمية وهو : كيف تصبح محاميا مترافعا ؟.

وقد يبدو الأمر يسيرا فى البداية خاصة اذا لاحظنا أن جانبا كبيرا من الأساتذة المحامين قد جبلوا على المرافعة بالفطرة وبالموهبة الطبيعية التى حباها الله لهم . ولكن ينبغى للمحامى من الطراز المترافع أن يقوم بتدريب نفسه بين الحين والحين وانتقاء بعض العبارات الجميلة والتقاط مايبدو له مفيدا فى مرافعاته ويعتمد فى ذلك على مجهوداته الذاتية ، وفضلا عن ذلك فانه يوجد قطاع عريض من المحامين الشبان فى حاجة ماسة الى تعريفهم بالمرافعة أمام المحاكم وأساليب تلك المرافعة وصورها وأشكالها وكيفية المرافعة والالقاء والارتجال وتكوين المرافعة كما أنه تبدو الحاجة ــ بالنسبة اليهم ــ ضرورية فى بث الثقة والشجاعة فى نفوسهم عن طريق

محاولاتهم حفظ بعض أساليب المرافعة من مقدمات أو خواتيم والخطة العامة الهيكلية لموضوع المرافعة وهو موضوع القضية التى يتم المرافعة فيها .

ولذلك أثير التساؤل عما اذا كانت المرافعة علم أم فن ؟

فالعلم يتطلب الإعتماد على قواعد أصولية وأسس منهجية حتى يصل الطالب فى النهاية الى مراده اذا قام بدراستها والتدريب عليها بانتظام ومعرفتها تماما .

أما الفن فهو يعتمد فى جانبه الأكبر على المواهب الطبيعية التى يمنحها الله للأفراد بحيث يختلفون فيما بينهم ومنها موهبة الخطابة أو المرافعة أمام المحاكم .

والحقيقة أن المرافعة أمام المحاكم خليط بين هذا وذاك .. فهى فن فى المقام الأول وتعتمد على الموهبة الطبيعية ثم هى لا تخلوا أبتداء من أن تكون علما يقوم الباحث بتعليم نفسه بنفسه أسلوب المرافعة وحفظ بعض الأقوال للاستشهاد بها فى المحكمة عند بداية انطلاقه .. كل ذلك حتى يقوم المحامى بواجبه كاملا فى المحكمة ويستطيع القيام بدوره الذى يضطلع به . ومن المفيد أن نؤكد على أنه يجب تدريس مادة الخطابة القضائية — المرافعة — فى كليات الحقوق حيث أنها المكان الوحيد الآن فى مصر الذى يجب أن يقوم بتزويد طالب القانون بأسس وأصول المرافعة أمام المحاكم وحتى يتسنى للطالب بعد تخرجه سواء عمل بالنيابة أو المحاماة أن يقوم بواجبه كاملا لاعمال مبدأ شفوية المرافعة موضع التطبيق

وحتى يحين هذا الزمن فان الطريقة الوحيدة هى تنمية عادة

القراءة التى تكسب الانسان الاحساس بجمال الأسلوب وانتقاء الألفاظ التى تضع الانسان على درجة عالية فى هـذا المضمار لأن السر فى ذلك كما كتب لنكولن أشهر الخطباء الى شاب يتوق ليصبح محاميا ناجحا يكمن فى الحصول على الكتب وقراءاتها ودراستها بانتباه لأن العمل هو الشىء الأساسى للنجاح (١) . فاذا اتبع الباحث هذا المنهج فضلا عما يمنحه الله سبحانه وتعالى للبعض من المواهب الطبيعية الفذة القادرة على الانفجار فسوف ينشأ جيل من المحامين من الطراز المترافع من أصحاب مهنـة الجبـابرة الأمر الذى تزدان به كنوز تلك المهنة .

واذا كانت كل الحقـائق تنـادى بجـلال دور المحامى وواجب تمكينه من القيـام بمهمته على أوسع نطاق هذا الالمـام الذى يتوقف عليه هو نفسه وعلى مدى المامه الالمام المطلوب بكافة العلوم الانسانية كلها . فان الحقيقة الكبرى هى أن انشاء المحاكم وتنوع القضـاء يرتد الى أصل واحد ألا وهو حماية وصيانة ورعاية حقوق الدفاع أمام تلك المحاكم . هذا الحق الذى كفله الشارع بقوة القانون والذى له ضماناته وامتيازاته وحصاناته وأوضح صور ذلك الحق هو الحق فى المرافعـة الشفوية وخاصة فى المسائل الجنائية .

ويرتبط ذلك بمبدأ شفوية المرافعة أمام المحاكم .

ولقد كان أملا أن يصدر فى موضوع المرافعة كتاب يجمع بين دفتيه أحكام المرافعة الجنائية وأصولها وأساليبها ، لذلك راودتنى هذه الفكرة منذ أعوام سابقة وبالتالى فان جذور فكرة اصدار هذا الكتاب تعود الى فترة مضت ابان عملى بالنيابة العـامة وكان أشد مايسعدنى أن يقوم الأستاذ المستشار المحـامى العـام بتكليفى بالمرافعـة أمام محـاكم

---

(١) دايل كارينغى — فن الخطابة — كيف تكسب الثقة وتؤثر بالناس ص ١٦٤ منشورات دار الكتب الهلال — بيروت — ط ٢ سنة ١٩٨٦

الجنـــايات وأنا مازلت معاونا للنيـــابة ولشد دهشتى الآن أننى كنت أقبل ذلك راضيا تماما بل ومستبشرا •

ولم يكن يخالجنى الشك ولا الخوف على الاطلاق • بل كنت بحمد الله تعالى ، شجاعا فى المرافعة ولم أمنح فى أحيان كثيرة الفرصة الكافية لدراسة القضية الدراسة المستفيضة المتأنية لأن الجميع يعلم أن وكيل النيـــابة المترافع غالبـــا مالا يكون هو وكيـــل النيـــابة المحقق لطول فترة الاجراءات وخاصة أمام محاكم الجنايات •

ومضت هذه الفترة الجميلة من حياتى وأنا مازلت أحلم بانشـــاء كتاب عن المرافعة أمام المحاكم قـــد يفيـــد منه الزملاء المحـــامون أو أعضاء النيابة العامة ثم تبلورت تلك الفكرة فى ذهنى تماما واستجمعت أركانها عنـــدما عملت بالمحاماة ووجدت أن عددا كبيرا من المحامين فى حاجة ماسة الى موضوع هذا الكتاب خاصة بعدما شاهـــدت مرافعات كبار محامين مصر أمام المحاكم • فآليت على نفسى ووجـــدت أن من واجبى أن يصـــدر هـــذا المؤلف لكى يسير محامو العصر على الأسلوب الأمثل فى المرافعة احتذاء بالسلف من جبـــابرة المحامين فى العصـــور السابقـــة •

ومما لا يغيب عن البـــال ان أهميـــة هذا الكتاب لاتنصرف فقط الى حاجة الزملاء الجدد له لخاو المكتبة القانونية من المادة العلمية له• بل انه أيضا يفيـــد الزملاء المتقـــدمين فى القانون بدرجة كبيرة •

ولذلك استلزم هذا الكتاب أن نعرض لأحكام وقواعد المرافعـــة أمام المحاكم فى الفصول الأولى من الكتاب •

ثم عرضـــنا لطائفـــة من مرافعـــات سلف المحـــامين المشهورين فى النهـــاية •

وعلى هذا النحو فقد قمنا بتقسيم الكتاب الى الفصول الآتية :

الفصل الأول : مفهوم المرافعة

الفصل الثانى : عناصر المرافعة

الفصل الثالث : أحكام المرافعة

الفصل الرابع : المرافعات الذهبية

على أن يسبق ذلك كله فصل تمهيدى عن المحاماه وصلتها بالمرافعة •

وبعد :

فهذه مجرد محاولة متواضعة للغوص فى أعماق موضوع على جانب كبير من الأهمية فضلا عن خطورته •

وأرجو أن أكون قد وفقت فى معالجة فن المرافعة أمام المحاكم الجنائية • فان كنت أصبت فمن الله وان أخفقت فمن نفسى •

« والله ولى التوفيق »

حامد الشريف

المحامى

فصـــل تمهيـــــدى

المحـــاماة مهنـــة الجبـــابرة

ان المحاماة أشرف مهنة وأنبل رسالة •

فالمحامى — عند بعض الناس — هو حامى الضـــعفاء والأرامل واليتامى يدافع متبرعا أو مأجورا عن القضايا العادلة ليخلص المظلوم والبائس ويرد الحقوق المغتصـــبة لأصحابها ويسمع صـــوتهم لممثلى العـــدالة ويقوى حجتهم ويدفع عنهم كيـــد الكائدين ويكشف ستر المتآمرين • ولذلك قال عنه المنصفون أنه حامل الشـــعلة التى تبـــدد غياهب الشك وتنير الطريق الى العدالة والحق ومن ثم فهو الشمعة التى تحترق لكى تضاء مصابيح العدالة •

وهو يعتبر عند البعض الآخر مجرد ثرثار أجير (١) الكلام صناعته والأكاذيب بضـــاعته سيان عنده أن يدافع عن الحق أو الباطل مادمت ستدفع له الأجر ليستعين بعلمـــه لكى ينصر باطلك على حق خصـــمك ويسعى بعلمـــه أيضـــا ليفلت المجرم من العقـــاب العادل وهو العليم بجـــرمه •

والحقيقة وسط بين الرأيين فالرسالة شريفة والمهنة نبيلة وهى ضرورية لايضيرها أن يكون بين أفرادها — مثلمـــا يكون بين غالبيـــة الفئات — من يسيئون اليها ولا يحقرون الا أنفسهم • ولأن المحاماة بحق أنبل مهنـــة وأشرف رسالة فهى قديمة قـــدم القضاء وضرورية

---

(١) انظر — كنوز المحاماة — المرجع السابق — ص ٣ ، ١١

كالعـدالة ونبيـلة كالفضـيلة ولذلك فهى تجمع بين النبل والسمو .
واذلك فان الناس تعجب بالمحامى المفعم بالطاقة — مولد الطاقة البشرى
صاحب الابتسامة الساحرة .

ولا شك أن واجب المحامى يقتضيه أن يسمو بنفسه عن كل اغراء
قـد يدفعه الى محاولة الحصـول على كسب أكبر عن طريق اطـالة
أمد النزاع كما أن هذا الواجب يملى عليه أيضا أن يبـذل كل الجهود
الممكنة لاقناع موكله أن يكون معقولا عادلا وهو فوق كل ذلك مطالب
بأن يكون على قدر المستطاع قاضيا وان لم يجلس على منصة القضاء
وبالتالى لا يحق له أن يحمل اللقب المشرف المتعـارف عليه .وهو لقب
أستاذ اذا ما اقتصرت معلوماته على اللوائح فقط لأن المحاماة هى مهنة
كل المهن ولذا يجب أن يتزود المحـامى بكافـة العلوم الانسانيـة
والاجتماعية عند ممارسة نشاطه (٢) .

والمحاماة تفتح أبوابها على مصراعيهـا لرجال القضـاء الجالس
والواقف يجيئون اليهـا ومعهم بضاعة غالية من تجارب حصلوا عليها
وقد نبغ منهم الكثيرون ووقفوا على قدم المساواة مع كبار المحامين .

والمحامون هم عماد القضاء وسنده لأن عملهم هو غذاء القضـاء
ولئن كان على القضـاء مشـقة فى البحث للمقـارنة والمفـاضلة
والترجيح فان على المحامين مشقة كبرى فى البحث للابداع والتأسيس،
بل ان عناء المحامين أشد فى أحوال كثيرة من عناء القاضى لأن المبـدع
خير من المرجح .

ويجب أن يمهد المحامى لنفسه لهذه الصناعة وهو مقبل عليهـا
بالرضـا المطلق والثقـة حتى يغـرم بالمحـاماة اغراما يطعمـه

---

(٢) انظر — أحمد رشدى — المحاماة كما اعرفها — المرجع السابق —
ص ١٤٦ .

حلاوتها وحلاوة الاخلاص فيهــا أما التراخى فانه يمهد العذر ليصبح محامى ضرورة ثم الفرار الى احدى الوظائف الحكومية •

ومهما تكن حال القاضى من علم وخبرة وحال المتقاضين من لهفــة على الفوز وتطلع الى الغلب فالمحامى وحده هو الذى يسوس الدعوى ويتولى توضيحها فهو ســيد الدعوى بلا منازع وهو وحــده فى الأعم الأغلب الذى يرجع اليه المنقلب من نجاح أو خيبة وبيده لا بيد سواه تحيا الدعوى أو تموت •

فلكل دعوى روح خاصة تنشر الحياة على أعضائها •• وحياة الدفاع فى أسلوبه وفى طريقه وفى حسن اختيار الأدلة وحســن ترتيبهــا وفى تصوير الدعوى والرد على أوجه دفاع الخصم •

والمحامون هم روح العدالة ، فاذا كانوا لا يكتبون الأحكام فهم يعدون لها البحوث والمرافعات فيقدمون للقضاء المادة الأولية لصناعته وكثيرا ما يقتصر عمل القاضى على الأخذ باحدى النظريتين التى تقدم بها الدفاع أو أن يوفق بينهما •

والغذاء الفكرى للمحامين هو التشريع والفقه والنظريات القانونية الحديثــة ولذلك فالمحامى عندما يؤدى عمله يعتبر شمعة تحترق لكى تضىء مصابيح العدالة وتضىء مسالك تلك المهنة الشريفة ، فالمحامون هم رسل العدالة الذين يدافعون فى كل العصور عن الحق فى قاعات المحاكم التى هى حرم العدالة الحامى للحريات •

وقد يتبرم القاضى من اطالة دفاع المحامى ويستحثه على الايجاز والاختصار ونحن لا نيأس أن نجد لمثل هذا القاضى عذرا لأن فرصــة العمل بالمحــاماة لم تتهيــأ له يوما من الأيام وذلك لأنه لم يشــاهد

كيف يجلس المحـامى للقـاء قصـاده وكيف يستمع الى شكواهم وكيف يعرضـون عليـه ما بينهم وبين خصـومهم من المنـازعات وكيف يضطر كارها أو طائعا أن يسمع أقاصيصهم .

والمعرفة بكل نواحيها غذاء لازم للمحاماة كما ينبغى أن تكون . ولقد قال بلاتون ان مهنة القـانون سـيدة غيور تأبى الا أن تشـغل وحدها فراش الزوجية دون شريك لها .

والآخرون ذهبو أنهـا ليست زوجة غيور بل هى باحتيـاج دائم الى رفيقات ورفقـاء آخرين .فالقـانون هو أول العلوم الاجتماعيـة ويحتاج المحامى الى دراسة علوم الفلسفة والفقـه والتاريخ والعلوم الطبيعيـة وغيرها وعلى المحامى أن يرفع بين الحين والحين رأسه عن مكتبه لينظر من النافذة الى العـالم الواسع اذ أن الانكباب على مادة بعينها خليقـا بأن يورث المحامى ضيقا فى الأفق وسطحيـة فى النظر ولا يخرجـه عن ذلك الا تلك المخالطـة بين القـانون وذخائر العلوم والأدب .

فالمحامى يعكف على القضية الموكل فيهـا باسطا أمام القـاضى ماتثيره من مشاكل قانونيـة وآراء الفقـه بشأنها عارضـا لحجج كل طرف وأسانيده ليسهل على القاضى مهمتـه وينـير طريقـه وييسر له الوصول الى الحقيقة (٣) .

وكم من قضـايا لم تتضـح خفـاياها الا بعـد سماع مرافعة المحامى ، وما أكثر الأمور التى لا يكفى فيها مجرد الاطلاع على ملف

---

(٣) د/رمسيس مهنام — علم النفس القضائى ١٩٧٩ — ص ١١٦ .

القضية لكشف غموضـــها فيتبدد هذا الغموض بالقاء المحامى الضـــوء على ظروف القضـــية وملابستها وكم من قضايا تعثرت أمام القضـــاء لصعوبة ترجيح حق على آخر فأدى نقـــاش المحامين وتفنيد كل منهم لرأى الآخر وحجه الى اظهار وجه الحقيقة فيها [٤] .

وأخيرا فالمحامى وهو الرجل الذى يسعى لتحقيق العدالة دائما هو ضحيتها فموكله الذى يخسر القضية لا يسلم أبدا بحق خصمه وينسب الخســـارة لتقصـــير محاميه وليس لعدالة ما حكم به ، والموكل الذى يكسب قضيته لا يرجع ذلك لجهد محاميه بل ينسب الفضل فى كسبها الى وضوح حقه ونزاهة قاضيه [٥] .

---

(٤) د/احمد صاوى — شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية ١٩٩٠ من ٧٧ حتى ١٤١ .

(٥) حسن الجداوى — كنوز المحاماة — ص ١٢ ، الصـــاوى بند ٧٩ حتى ١٤٣ .

الفصل الأول

مفهوم المرافعة

تمهيد وتقسيم :

نعرض فى هذا الفصل للمفهوم الواسع لمعنى المرافعة أمام المحاكم الجنائية • وسوف نتناول هذا الفصل فى مطلبين حيث نعرض فى المطلب الأول لماهية المرافعة أما المطلب الثانى فسنخصصه لمبادىء المرافعة •

المطلب الأول : ماهية المرافعة

ان المرافعة فى ساحة القضاء معركة أو ان شئت الدقة فقل هى مباراة تشرف عليها روح رياضية عالية يشترط فيها الصدق وعدم أخذ الخصم غيلة ، والالتجاء الى سلاح شريف لا زائف ولا مسموم ، مباراة أسلحتها الوحيدة المعتمدة قوة البيان وثبات الجنان وقرع الحجة بالحجة ، والتدليل المنطقى والاستعانة ــ ولكن بقدر ــ بتأثير العاطفة واستدرار رحمة الحكم الذى هو القاضى ، أو استثارة غضبه واستنهاضه لتحقيق واجبه كمحام للهيئة الاجتماعية يدفع عنها عدوان المعتدين ، وكملجأ للمظلوم وسند للمهضوم •

وهذه المباراة التى يتولى ادارتها دائما قاض واحد أو قضاة تجرى دائما فى قاعات متشابهة الوضع وبتنسيق يكاد يكون واحدا فالحكم يجلس فى رأس القاعة • وتشرف عليه الحكمة الخالدة التى تبلى الدهور وهى لا تبلى وتتغير المبادىء والأنظمة وهى ثابتة التى تقرر أن « العدل أساس الملك » •

فاذا بدأت المبـاراة وجب على كل من المتبارين أن يبذل قصارى جهده ليقنع الحكم بحقه ، وليعقد له لواء النصر ولكن المباراة فى سبيل العدل لايستعمل فيها الا سـلاح الحق والصدق تسمو فيهـا الروح الرياضية الحقـة ، فلا مداورة ولا مواربة ، ولكن كلمة الحق تقـال وان أضرت بقائلها ، وحجة الخصم يسلم له بهـا وان خسرت المعركة بسببها .

فالخاسر فى هذه المباراة والكاسب سواء ، كل منهما سعى لنصرة الحق وبها فاز . والمرافعـة هى عملية ذهنيـة سريعة أى عملية عقلية محضة ولذلك يسهر المحـامى الليـالى الطوال يسأل أوراق التحقيق أسرارها ، ويستلهمها خباياها ، ويستنبط الحجج التى أعدها لصـالح موكله ، ويعـد لليوم الموعود ما استطاع من عـدة وبيـان ، ما بين شهود ينفى بهم الاتهـام ، وأسئلة محرجة يقضى بهـا على شـهود الاثبـات ، ومستندات قاطعـة فى الدعوى قاصمة لأدلة الاتهام فاذا ماجاء يوم الفصل بحث عن لسانه فوجده يتعثر فى جوانب فيه لايدرى مايقول وبحث عن الحجج التى أعدها فاذا بهـا قد تبخرت وخلا منها بيـانه ونظر الى المستندات التى ظنها دامغة فاذا بهـا قـد تحولت قصاصات لا قيمة لهـا فى الدعوى ان لم تتحول مستندات عليه لا له.

وتعتمد هذه المباراة على رصيد كبير لا يقدر بالنقود أو الذهب ولكنه رصيد الكلمات ، فالكلمات فى ترتيبها الطبيعى هى مادة القـانون الخام وهى تمتـاز بسحرها الخاص حيث أن لها صـوتا كما أن لها لونا ومعنى ومن ثم فان اختيارها فى تركيب سليم يزيدها سحرا وقوة فعندما نضم بعض الكلمات الى بعضها البعض نجد أن الحياة قد دبت فى أوصـالها بطريقة لاندريها وكأننا أمام شعر أو أمام أغنية . وليس مجرد جملة بل أمام الهام متدفق وسرور لاينتهى [1] .

---

(١) كنوز المحاماة — يوجين جيرهارت — ص ٣ ، سنة ١٩٦٧ ، مكتبة النهضة العربية القاهرة ، ترجمة حسن الجداوى ؛ محمد عمر ، تقديم حسن جلال العمروسى .

ومن هنا تأتى أهمية المرافعة بالنسبة للمحامى شــفوية كانت أم كتابية فهى ســلاحه الأكبر التى تظهر مواهبــه وتنشر جهوده • فهى للمحامى كالمشرط للجراح وكالقلم للكاتب وكالفرجار للمهندس وبالتالى فان جمال الأسلوب وعمق الفكرة وتأثير البــلاغة من صــفات المحامى النــاجح • ولقــد بلغ بكبار المحــامين الذروة فى سلاسة التعبير وقوة الأسلوب وجزالته ، ومن ثم لا تغيب عنهم عبارة ولا يتعثر لهم لسان لأنهم اتصفوا بحلاوة وطلاقة اللسان وسحر البيان والبلاغة لتأكدهم من أن الوقوف للمرافعة لايقل شرفا بحــال من الأحوال عن الجلوس للقضــاء •

فالمرافعة فى المحكمة ليست معركة بقــدر ماهى مباراة شريفــة أسلحتها الوحيدة تعتمد على قوة البيــان وثبات الجنان وقوة الحجة والتدليل المنطقى •

ويجب التنويه الى أن السلاح البتار للمرافعــة هو الاخلاص فى عرض الوقائع ومناقشة الأدلة وليس مجرد اخفــاء نقطة الضــعف فى القضية التى تحتمل جانبين أحدهما مظلم والآخر مضىء حتى ولو تغلب الجانب المظلم على الآخر •

ومن هنا فان الكلام الغامض عن وقائع غير واضحة يجعلهــا غير مفهومة لكن الحديث الواضح عن حقائق غامضة يضفى عليها بصيصا من النور وكثيرا من الضوء الساطع •

ومن هنا نلاحظ أنه قد يترافع أحد المحامين ساعتين ويكون مقلا كما قــد يترافع غيره خمس دقائق ويصــبح مملا ولا يكون ذلك الا بالتركيز على الجانب المظلم من القضية أكثر من الجانب المضىء •

ويجب ملاحظة أن سحر الصوت السريع المجلجل وموسيقى ذلك الصوت تؤثر فى السامعين • وهذه احدى سمات المحامى المترافع الذى

يتميز بمقدرة أصيلة على الفصاحة وطلاقة اللسان الأمر الذى يؤكد أن لكل قاض محام بمعنى أنه يجب النظر الى حالة القاضى وظروف الجلسة واليوم وغيره • فالمحامى الذكى هو الذى يعبر الى أعماق قاضيه بنظرة واحدة ومن ثم يختار الأسلوب الملائم للمرافعة باعتبار أن لكل قضية مقال بمعنى أن الصوت العالى والثورة الجارفة من المحامى مؤشر على أن المتهم مظلوم فعلا ولكن اذا كانت الأدلة قوية فيحسن الالتزام بالهدوء والاتزان الكامل لاستعمال عوامل الرأفة فى القضية • وذلك مع الالتزام بأساليب المرافعة التى سوف نتناولها فيما بعد وان كنا نرى أن الأسلوب الأمثل للمرافعات أمام المحاكم هو حفظ بعض المقدمات والخواتيم مع معالجة الموضوع من زاويتى الواقع والقانون وذلك باللغة المختلطة بين الفصحى والعامية •

فالمرافعة ليست هى الفصاحة وحدها ولا هى العلم بالقانون وحده ولكنها قبل أن تكون غزارة علم وزخرف كلام هى سياسة يقظة واستبصار حول الدعوى وحذقا فى الأداء ولباقة فى ايراد الأمر واصدارة بالنسبة للدليل •

ويجب أن يكون الكلام ثوبا للمعانى المقصودة لا قصيرا ينكرها وتنكره ولا طويلا يتعثر بها وتتعثر فيه فقد تكون للحق المطلوب حياة فى نفسه ولكن لا يلبث أن يموت لأن قصور الابانة عنه تركه مختنقا تحت ترابه أو لأن الخروج عن القدر اللازم للابانة عنه الى الاطناب فى غير مقتض أو الى التعلق بالحواشى البعيدة عن صلب الموضوع أرسل من الملاله والسأم مايضيق به صدر القاضى فلا تجد الحقيقة مسلكا الى قلبه لأن القاضى على كل حال بشر تعنيه الحجة الظاهرة فى العبارة الموجزة عن التطويل باعادة ما قيل أو بما لايقوم به الدليل (٢) •

---

(٢) أحمد رشدى — المحاماة كما اعرفها — ص ١٥٣ — الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية ط ٢ ، ١٩٩٠ .

وان متطلبات النجاح فى فن المرافعة هى الفضيلة وروح المبادرة والعزم والشجاعة • فاذا أردت أن تكون محاميــا مترافعــا واثقا من نفسك فانك ستصــبح كذلك لكن يجب أن ترغب فى ذلك وتســير على الطريق الصحيح بعدم اليأس •

وانها لرسالة شريفة مقدسة — رسالة الدفاع — أن تقف بجانب رجل برىء هجره ذووه وتنكر له أصــدقاءه وانصبت عليه لعنة الناس من جميع النواحى لتــدافع عنه كما يقف القسيس الى جوار المــذنب المحكوم عليه بالإعدام ويســير بجواره وســط صخب الصاخبين حتى قاعــدة المشنقة ثم يبعث به واقفــا للقــاء ربه ••• وأنا من جانبى أقف بجوار هــذا البرىء وأرفع صوتى وسط الاتهامات والجلبة لأبعث بهذا الرجل نقيا مطهرا أمام الناس •

فلا يمكن أن أدر ظهرى لأى متهم — أبــدا — مهما تكن تهمتــه وكلما كان صراخ المعترضين عاليا كانت حاجة المتهم لمحام أشد وأقوى وحين يدير جميع النــاس ظهورهم للمتهم يحتم القــانون أن يعين له محام يترافع عنه ويكون له ليس مجرد محام بل صديق •

ومن الشروط الهامة فى المرافعة :

١ — وحــدة الموضــوع •

٢ — ترتيب الكلام وترتيب الأفكار بحيث يبــدأ أولا بالفــكرة البسيطة ثم يتدرج حتى يصل الى قمة ما يريده • وفى القمــة يبــدو انفعاله وقوة صوته وقوة عباراته جميعا •

٣ — اذا انتقــل المترافع من الفكرة الأساســية الى الأدلة التى يريد الاســتناد اليهــا يجب أن تكون أدلته واضحة قريبة متصلة بما عرضه فى موضوعه •

---

(٣) كنوز المحاماة — المرجع السابق — ص ٥٣ •

وعلى أى حال فان عرض الموضوع لابد له من نوعين من الأدلة أدلة تؤيده وأدلة تدفع مايعارضه أو ماعسى أن يعارضه ولا شك أن المرافعة أمام المحاكم لها أساس واضح من القانون حيث تستند الى مبدأ شفوية اجراءات المحاكمة الجنائيـــة باعتبـــارها من المبادىء العامة للمحاكمـــة اعمالا للمواد ٢٦٨ — ٢٩٤ اجراءات جنائية .

ولكن الخطأ المميت الذى يقترفه الكثيرون يكمن فى اهمال تحضير المرافعة فكيف يأمل ذلك المحامى حتى فى قهر الخوف والتوتر العصبى حين يخوض المعركة بعدة فاسدة أو بدون أية عدة على الاطلاق .

فالمحامى فى مرافعته صاحب رسالة حقيقية يسعى الى ابلاغها عن طريق أسلوبه وصوته ونبرته ولن يستعين فى ذلك الا بالمواد الخام من الكلمات التى استخرجها من منجمه الخاص .

ويجب ألا يجعل المحامى من حديثه مجرد موعظة مجردة للمحكمة لأن ذلك سيكون مملا .. اذ يجب جعل الحديث مثل كعكة مزينة بالأمثلة والعبارات الرنانة .

والمرافعة الجيـــدة هى تلك التى تتسلح بمادة احتياطيـــة وافرة فائضة أكثر بكثير مما يستخدمه المدافع والا كمن بدأ من دون أن يعرف ما الذى سيقوله وانتهى دون أن يعرف بما نطق .

ولذلك فان بنـــاء المرافعة هام جدا حتى يحقق المحامى رسالتـــه وحتى يكون المحامى سيد موضوعه بالعمل الشاق والتخطيط الصـــائب والعمل التحضـــيرى الدائب حتى يصبح محاميا ماهرا وحتى لا تكون كلماته مثل المطرقة .

والنصيحة الأساسية هى ألا يبحث المحـــامى عن الكلمات ولكن يجب عليه أن يبحث فقط عن الحقيقة والفكرة فعندئذ تتـــدفق الكلمات من دون أن يسعى اليها .

والمحامى الناجح هو الذى يلم بقوانين التـــذكر الطبيعيــة وهى الانطباع والتكرار وترابط الأفكار •• أو مايسمى بجهــاز التذكرة أو فكرة تصـــوير الوقائع بفكرة الصـــور أو قانون التـــذكر الطبيعى وهو لا يؤخــر تحضــير خطــابه للمحكمــة الى ما قبــل القــضائه بليلة واحــدة فان فعل ذلك ســتقوم الذاكرة بسبب الضرورة بالعمل بنصف قدرتهــا الممكنة لذا يجب التفكير وتحضــير القضــية قبل يوم المرافعــة بمدة كافية وان كانت مهارة قمة المحــامين تمكنهم من قراءة أوراق القضــية ثم المرافعــة بعدها بفترة قصيرة جدا بعد الجلســة ولكن يلاحظ أنهم يتعرضون للجوانب القانونية التى من المفروض أنها مدروسة ومحفوظة عن ظهر قاب وتختلف بالتالى من محــام الى آخر ولا تعتمد الا على ترابط الأفكار لأن الذهن بشــكل رئيسى هــو آلــة ترابط الأفكار •

كما يجب على المحامى احترام المنصة •• فليس احترام المنصــة عيبا ينسب الى المحامى بل ان جلال المنصة من جلال المحاماه •

ويجب أن يتسلح المحــامى أولا وأخيرا بالوقار فالمحــامى الذى يفقد وقاره يفقد موكله ويفقد قضيته ويفقد نفسه •

وهــذا الوقار يكسبه سحر ورفعــة فان سبب ضــياع احترام المحامى وانفضاض موكليه عنه هو فقده الوقار •

ولم تعد وظيفــة المحامى تقتصر على الدفاع عن الحقوق فى وجه نفوس القضـــاء بل امتــدت لتغطى المعــاونة الفنية المتخصصة خارج قاعات المحكمة التى هى حرم العدالة المحامى للحريات •

والمحـــاماه ان أعطيت فهى لا تعطى الا لمن عشـــقها وســار فى

دروبها وتمكن من الوصول الى فنها وأسرارها [٣] •

ولمعرفة قيمة المحامى أنظر الى القاعدة الأساسية عن الفرنسيين التى تقول ان الخالق سبحانه وتعالى يأمر من السماء ولعباده أن يطيعوه • أما المحامى — دون مقارنة — فهو الذى يأمر موكله فى الأرض الذى عليه أن يستجيب لما رآه محاميه [٤] •

المطلب الثـــانى

مبـــادىء المرافعــــة [٥]

تمهيـــــد :

سوف نعرض فى هذا الفصل للمبادىء الأساسية فى المراقبة أمام المحاكم الجنائية على أن نتناول البلاغة فى المرافعة والعاطفــة فى لغــة المرافعــات ثم الالتماس فى المرافعة ثم الجرأة فى المرافعة والاعتدال أيضا فيها عاى التوالى وذلك على النحو التالى :

أولا — البلاغة فى المرافعــة :

ان البــلاغة اجتماع اله البــلاغة ، ذلك أن يكون المترافع رابط الجأش ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم القاضى بكلام السوقه •

---

(٣) انظر الاستاذ/أحمد شنن — عظمة المحاماة — ص ٨١ •

(٤) انظر الاستاذ/أحمد شنن — المرجع السابق — ص ٩ •

(٥) عن مقال لغة الاحكام والمرافعات — زكى عريبى المحامى — الكتاب الذهبى بتصرف — ص ١٦٣ •

وذكر رسول الله ﷺ شعيبا النبى عليه السلام فقال « كان شعيب خطيب الأنبيـاء » •

والبلاغة هى ايصال القلب الى القلب أما الفصاحة فهى احتيـال اللسان على الأذن من طريق المعرفـة اللفظيـة التى ليست مجرد ظل للمعرفة غير اللفظية •

١ — « ضرورة البلاغة فى اظهار الحق »

اتفق الناس من قديم على أن البلاغة صفة لازمه لمن جعل الدفاع عن حقق النـاس مهنته ، وتواضعوا على وجوب أن يكون المحـامى فصيح اللسان بالغ الأثر بكلامه متلاعبا بالعقول والقلوب ، وما يزال الاجماع على لزوم توافر هذه الصفات واقعا •

فالمحامى يبغى الى الصـنعة والى التفنن فى أسـاليب الخطاب أحد أمرين : اما أن المترافع يرمى الى قلب الحقـائق فـلابد له من زخرف القول يموه به ويغرر ، واما أن الحق المجرد بغيتـه ومطلبه ، والحق المجرد ميسور بمجرد الطلب •

سل طـلاب الحق فى كل زمان ومكان ينبئوك عن الكلام ونوره الساطع وشمسه المتألقة وسلطانه القاهر خيال فى خيال • حدثهم عن كنهه يخبروك بأنه جوهر نادر ثمين مستقر فى أعمق الأعماق ، خفى على البـاحث ، عصى على المستخرج ، وأن وجوده — اذا هو اكتشف — وجود نسبى يقتصر فى الغالب على المكتشف • فاذا ما أراد هـذا أن يثبت اكتشافه للغير وجب أن يعد نفسه لحرب عوان ليس له من سلاح فيها غير بيان حسن ومنطق واضح وبلاغة غالبة •

على أنه من ذا الذى يستطيع التحدث عن الحقيقة المجردة المطلقة؟ أين الحق الذى لا يمازجه باطل وأين الباطل الذى لا يمازجـه حق ؟

النسبية قانون متميز فى كل شىء فى الوجود ، وليس أسـهل من تبين حكمه فى عالم الحقوق •

فى كل دعوى اذن مزاج من الحق هو أشبه شىء بالذهب يخالطه عناصر كثيرة متنوعة على المترافع أن يطهره منها فيخرج بالمعدن النفيس متألقا وهاجاء وأنى له ذلك الا أنيؤدى رسالته علىالوجه الأكملفيجلو ما غمض ويبسط ماتعقد ويسهل ما استعصى • والأمر بعد ذلك ورغم ذلك ، لا للقضـاء وحـده ، بل للقضـاء والقـدر فـرب حجـة سائغـة قاطعـة يحويهـا كلام سـقيم فتضيع قوتهـا وتخمـد جذوتها ، فاذا ناصرها البيان وقدمها فصيح اللسان انقلبت سحرا حلالا ولذلك فان البلاغة هى اذن ألزم اللزوميات للترافع •

٢ — « مجال اللغة العامية فى المرافعات »

صحيح أن لغة الارتجال ماتزال تختلف اليوم عن لغة التحرير ، فالأولى تسمع والثانية تقرأ •

أينا لم يسمع عنالهلباوىفىأحد مواقفه الرائعة• انه يتكلم بالفصحى فيزرى بفقهاء اللغة ولكن الرجل محام بطبعـه وسليقته ، فهو يعرف أن العربية الصحيحة ما تزال الى اليوم لغة صنعة ، وانها ما تزال تجهد المخـاطب والمخـاطب معـا • والاجهـاد اذا طـال انتهى الى ملل وسـأم ، لهـذا تراه وقـد فرغ من التحليق فى سـماء البيـان وانتهى من قرع الأسـماع ، فى نقطـة معينـة ، بخطـاب فخم داوى الألفـاظ ، رنان العبـارة — تراه بعـد هـذا وقـد هبط من جوه الأعلى الى سـهل موطـأ من كـلام يروى به لطيفة من لطائفـه

الثائغة ، أو يصوغ فيه ملحه من ملحه العذبة البارعة ، أو يبرى منه سهما من السخر الفتاك ينفذ به الى مقاتل الخصم .

ولذلك سوف تبقى العامية الى جانب العربية الفصحى لغة مرافعة اضافية تصاغ منها النكتة البارعة يخفف بها الصخر ويطوى بمعونتها ملل الجلسات الطويلة القاحلة . وليس فى بقائها ضرر فهى لن تطغى على الحلول محلها فى موضع الجد وعند المناقشة الحامية تدور حول مسائل علمية أو موضوع خطير .

٣ ـ « مطابقة لغة المرافعة لمقتضى الحال »

« لقد بلغ من اغراق العائلة القضائية ابان بعض العهود فى التأدب أن أصبحت المرافعات والأحكام عبارة عن اقتباسات مكدسة من كتب اليونان والرومان تلوح بينهما الألفاظ الفرنسية وتختفى ولكن يلاحظ أنه قد بقى الاتصال وثيقا بين الأدب والقانون . وذلك لأن الكثير من أشهر أدبائها شغلوا كراسى القضاء أو لبسوا رداء المحاماة .

٤ ـ « لغة المرافعات لغة حديث لا لغة كتابة »

ان لغة المرافعات قبل كل شىء لغة حديث لا لغة كتابة . تلك هى لغة المرافعات حيث أن المحدث مضطر بحكم طبيعة الموقف الى الابتكار السريع والكلام المرتجل ومواصلة الحديث فى غير توقف ولا تردد ولذلك فان أو أول صفاتها من غير شك بساطة التعبير .

(ثانيا) « العاطفة فى لغة المرافعات »

وليس أجمل فى لغة المرافعات ، بل ليس ألزم ، من غلبة العاطفة فيها حيث أن كلام المحامى يبقى مجرد كلام لا طائل تحته حتى تغشاه عاطفة صادقة فتصبح له قوة السحر .

« وقديما قالوا ان القول ينفذ الى القلب اذا صـــدر من القلب » ولذلك يقف محاميان يطلبـــان الرأفة لمتهم فيفوه أحدهما بكلام لايعدو السمع ويقول الآخر قولا يهز القلوب هزا • كلاهما يترافع ، وكلاهما يستعمل كلمة الرأفة والشفقة • فكيف يتفـــاوت أثر مرافعتهمـــا هذا التفـــاوت ؟•

فتش وابحث وسل علمـــاء النفس ينبئوك بأن واحدا من الاثنين حساس يستشعر ما يقول ويتأثر منه عدوى التأثر الى الغير ، والتأثر ، لكى يكون له الأثر يجب أن يكون صادقا ، وهو لا يكون صادقا الا أن يصـــدر عن يقين واقتنـــاع • وأن تعجبت لشىء فاعجب لهذا الاقتناع يبدو لك صـــادقا — وهو صادق بالفعل — فى قضـــايا يكاد يستحيل على العقل أن يصدق أن كلام المحـــامى فيها وليد الاقتناع • ومثـــال ذلك أنه فى احدى القضايا ولم يكن فى القضية منفذ لابرة ، لا من حيث أدلتها ولا من حيث أدبياتها ، أخذ « مرقس » القضية عنوة من ناحيتها الأدبية متوسلا بما لاحظه من أن التحقيق فيها كان سريا ، وأن المحامين قد منعوا منحضوره • وانظر اليه كيف يبدأ هذا الدفاع المجيد وقال ان فى مصر محامين :

نحن المحامين نعـــالج آلام الناس ونرافقهم فى شفائهم ولهـــذا نرتدى الثوب الأسود ونقف فى هذا المكان المنخفض • فاذا ما أعيانا التعب جلسنا على هذا الخشب الصلب فيزيدنا نصبا • فنحن حقيقـــة بؤساء ، رفقـــاء البؤساء • ولكن رغم هذه المظاهر الخداعة فان الذى فى قلبـــه ايمان بالحق يرتفع من هذا المركز المتواضع الى السمو الذى لا حد له • ذلك لأن عمـــاده كله حق ، ولأن مأمورية المحامى تمثل حق الدفاع المقدس •

لكن ماذا جرى فى هذه الدعوى ؟

« جرى أن المتهمين جميعا قذف بهم ياحضرة القاضى الى هـوة من النـار » .

ومن الأمثـلة أيضـا أنه قـد قضى « لاشـو » يترافع ثـلاثة أيام وهو كمن يضرب فى حديد بارد حتى أسعفه الحظ ، وقـد أخـذ اليأس منه كل مأخذ ، بسقطة لسان من النـائب العـام اذ وصفه فى رده على مرافعته « بالمدافع عن المزورين وقطاع الطريق » .

وهنا وثب « لاشو » وثبة الأسد وقـد وخز بالسكين ، وعاودته قوته الهـائلة بفعل الكرامة المجروحة ، وانطلق بيـانه السـاحر من عقـاله فأتى بمـا لا يسبقه اليه متكلم ، واستطاع بعد دفاع مرتجل ملتهب أن ينقذ رأس موكله .

(ثالثا) « الالتمـاس فى المرافعـة »

* ويجب ألا يعزب عن الذهن أن المترافع ملتمس ، فلغته يجب أن تكون لغـة يحوطها الاحترام الكلى للهيئـة التى يترافع أمامها . قـد يكون أغزر من سامعيه علما ، وأظهر فضلا ، وقـد يكون كلامه لهم تعليما ، ولكن عبارته يجب أن تكون عبارة اكبار واعظام .

* والاحترام والاكبار لا يقتضى التذلل ولا الضعة فى توجيـه الخطاب . وشد ما يكره عبارة « سيدى البك » يوجهها بعض الزملاء الى قاض ليس بحاجة الى رتبة تخلع عليه على سبيل التأدب الزائد ، وقد يحمل خلعها على أنه زلفى وتقرب .

(رابعا) « المرافعـات لغـة جرأة »

* أنظر الى « ديسيز » وقد دعاه لويس السادس عشر :

أيهـا المواطنون :

أخاطبكم بلسان الرجل الحر . انى أبحث بينكم عن قضاة فـلا أجد غير متهمين ، أتريدون أن تجعلوا من أنفسكم قضـاة « لويس » وأنتم خصـومه .

أتريدون أن تجلسوا للحكم فى قضـية لويس ولكم فيهـا رأى يجوب أوروبا من أقصاها الى أقصاها .

أيكون لويس الفرنسوى الوحيد الذى لا يحميه قانون ولا يتبعه فى محاكمته اجراء واحد صحيح .

أيجرد من امتيازاته كملك ومن حقوقه كمواطن ؟
أيخذله القانون حاكما ومحكوما ؟
ياله من مصـير عجيب لا يتصور .

ولاحظ فى هـذه المرافعـة أسلوب التعجب المتواصل والاستنكار المتوالى والجرأة الواضحة .

(خامسا) « الاعتدال فى لغة المرافعات »

يجب أن يكون المحامى المترافع معتدلا فى مرافعته بحيث لايرمى زميله بشىء لأن أقبح من رمى الخصم بما لا يجب ، جرح الزميل .

فصحيح أن المرافعات دفع وجذب ، ونادر هو المترافع الذى يملك زمام أعصـابه فلا تجمع به حدة الدفاع . ولكن المسألة مسألة مران . وانك لتدهش ، وقد عودت نفسك التزام حدود الاعتدال ، كيف يسمو موقفك ، وتعلو حجتك ، ويمتاز بيانك .

(سادسا) « المرافعات فى مصر »

وجد حسين صقر واللقانى والباجورى وغيرهم من بناة المجد فى زمن كانت المحاماة فيه مجرد اجتهاد .

وثمة نموذج من هذا المجد الغابر تجده فى شخص شيخ الجماعة وامام الصناعة الأستاذ الأكبر ابراهيم الهلباوى بك .

من ذا يستطيع الى اليوم تحدى بديهتـه الوثابة ولغته الفكهـة اللاذعة وسخره القتال .

ومن جبابرة ذلك العصر أيضا : أحمد لطفى بلغته السهلة الممتنعة.

وعبد العزيز فهمى بقلمه ولسانه الجبـارين يتصرفان فى المعنى وفى المبنى كما يريد ويشتهى . ووهيب دوس صـاحب المنطق الجزل والديباجة الرشيقة والبيان المتدفق فى غير صنعة ولا تزيد . ومرقس. مرقس الذى لايلحق ولا يدانى . مرقس الجـذاب الأخاذ ، المتغلغل بسامعه الى الأعماق ، السامى به الى السبع الطباق .

كل هؤلاء يستحق أن يدرس دراسة خاصـة ، وأن يقـدمه الى الناس قلم غير هذا القلم وأن توقف عليه جهـود لا تستطيعها هـذه العجـالة .

وفى دراسة هؤلاء الفحول دراسة لناحية مجيدة من أدبنا القومى يجب ألا تهمل .

وحسبك منا هنـا الاشـارة الى آثارهم فى مختلف ألوان الكلام القضائى مما لا يحصه محص .

كما أن من جبـابرة المرافعة فى هذا الزمن نقيب المحامين الحالى الأستاذ أحمد الخواجه ، راقبه وهو يترافع وتأكد أنك ستتعلم منـه الكثير حين يبدأ وحين ينطلق وحين يزمجر وحين يختم مرافعته بأسلوب سليم صحيح قوى جذاب .

الفصل الثانى

عنـــاصر المرافعـــة

تمهيـــــد :

المرافعة أو الخطبة القضائية هى التى تلقى فى ساحة المحاكم أمام القضـــاء طلبـــا للحكم فى أمر ما ، وهى باختلاف المحـــاكم التى تلقى بهـــا ، وموقف المحـــامى أو وكيل النيـــابة ــ يختلف باختـــلاف القضية التى يتكلم من حيث نوعها وأهميتهـــا والأحـــداث التى بنيت عليهـــا •

وقد بين الرسول (ﷺ) أهميـــة هـــذا النوع فى قوله لنفر من الأنصار اختصموا اليه (انما أنا بشر مثلكم وأنتم تختصمون الى وقد يكون بعضكم ألحن [1] بحجته من الآخر فأحكم له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له شىء من حق أخيه فانما اقتطع له قطعة من نار) •

وبين هذا الحديث أن المحامى اللبق يستطيع أن يخدع القـــاضى وأن يلبس الباطل ثوب الحق •

والقضاة الأذكياء يحرصون على ألا يخدعوا ببلاغة الخطيب وأن يبحثوا القضـــايا التى أمامهم من الوجهة القانونية البحتة ، والخطيب القضائى رغم هذا لا يستغنى عن اثارة عواطفالقضاة ، **وبعبارة أخرى أمام هـــذا الخطيب لنجاحـــه أمران : الأمر الأول والاهم هو البحث القانونى وتطبيق قضيته عليه •**

الأمر الثانى وهو أمر مساعد وهو جـــذب عواطف القضـــاة نحو

ما يدعو اليه . وهذا الأمر الأخير وان كان محـــدود الاثر لا يخلو من أهمية . لأن القانون ذو مرونة ومرونته متروكة للقضاة . فمثـــلا نجد العقوبة فى جريمة ما غرامة لا تقل عن خمسين جنيهـــا وسجن شهر أو احدى العقوبتين فالغرامة قـــد تؤخذ فى أضيق حدودها وقد يكتفى بها وحدها وقد تزيد عن حدها الأدنى ويضم اليها الحبس ، ومن هنا نجد أن عاطفة القاضى لها أثر .

ولكن الاستعطاف يأتى من ناحية توهين المستند والتحـــذير من عقوبة شخص برىء أو هو أقرب الى البراءة وان القانون يفضل براءة الجانى أو عشرات الجناة على أن يعاقب شخص برىء بأدنى عقوبة .

عنـــاصر نجـــاح المرافعـــة القضائيـــة

وأهم ما تعتمد عليه الخطبة القضائية :

١ ــ درس القضية درسا عميقا شاملا لايغيب عن المحـــامى أى جزء منهـــا .

٢ ــ وضعها فى الصورة القانونية الملائمة .

٣ ــ أن تصاغ الخطبة فى صورة منطقية متسلسلة .

٤ ــ جودة الأسـلوب وقوة التعبير . وكبار المحـــامين يطبعون خطبهم ليقرأها من لم يشهد القائها من المحامين الآخرين والخطباء .

٥ ــ محاولات تجريح الشاهد أو التماس فارق بسيط بين أقوال الشهود ثم يطيل فى خطبته لأقناع موكله أنه بذل مجهودا .

والخطبة القضائية لها مدارسها ورجالها . ويجب أن نتذكر وصية عمر بن الخطاب لأبى موسى الأشعرى حين ولاه القضاء ، وهى رسالة

مشهورة مذكورة فى أكثر الكتب الادبية والتاريخية ، ويجب ألا نغفلها ولا يغفلها دارس سواء كان محاميا أو قاضيا أو خطيبا [٢] .

وسوف نعرض لموضوع عناصر المرافعـــة فى ثلاثة مطالب على أن نعرض فى المطلب الأول لافتتاح المرافعة وفى المطلب الثـــانى نتنـــاول موضوع المرافعة أما المطلب الثالث فيعالج ختام المرافعة .

المطلب الأول

افتتـــــاح المرافعـــــة

يجب افتتاح المرافعة بمقدمة مثيرة وبشىء يأسر الانتباه فى الحال والخطيب الذى يتمتع بالذكاء يحفظ المقدمة أولا والتى يفضل فى هـــذا الزمان أن تكون قصيرة كلائحـــة الاعلان لأن ذلك يتطـــابق مع مزاج القاضى فى هذا العصر الذى يجب أن يستخلص الحقائق ويجب ألا يبدأ المحامى مرافعتـــه بالاعتذار بأنه لا يجيد المرافعـــة فهذا خطأ جسيم والأفضل عدم الاستمرار لأنه ليست هناك فائدة من الاستمرار .

ولكن قـــد يبدأ المحامون مرافعاتهم بتقديم مثـــال محدد واضح أو الافتتاح بسؤال عام محدد الاجابة عليه تنطبق على القضية كما أن البعض يفتتح المرافعـــة افتتاحا طارئا بحادثة مثيرة متعلقة بالقضية، ومن المفيـــد أن يلتقط المترافع أنفاســـه فى البـــداية لكى يزول التوتر العصبى .

والمقدمة هى أول مايطرق سمع النـــاس فاذا كانت جذابة مشوقة

---

(٢) انظر د/عبد الجليل شلبى ـــ الخطابة واعداد الخطيب ـــ ط ٥ سنة ١٩٩١ ص ١٠٢ .

أنجحت المحامى وجعلت القضـــاة يقبلون عليه واقبالهم عليه يشد عزمه ويثير فيه النشاط والحمية وهى فى جملتها عامل تهيؤ للسامعين ثم يبدأ التسلسل الى موضوعه تدريجيا •

والمحامى فى المحكمة ليس بحاجة الى شد انتباه القضاة بهذا الشكل لأنهم تلقائيا متجهون نحوه مصغون لكل مايقول وهو مع ذلك فىالقضايا الكبيرة مضطر الى مقدمة قد تطول والغرض منها هو التهيئة للموضوع ولبيان أنه يدافع عن الحق لا لأنه منوب من طرف معين • ويقول :

نحن لا نقف اليوم أمام عدالتكم لا لنـــدافع عن هـــذا المتهم بل لندافع أصلا عن الحق ولا نقف ضد شخص بعينه ونهاجمه بقدر مانقف ضد الظلم •

مميزات وأسلوب المقــدمة :

١ — أن تكون مشوقة ذات قــدرة على شد انتباه السامعين على نحو ماسبق « عنصر التشويق » •

٢ — لكى يصـــل المحامى الى هذه الدرجـــة يبدأ بألفاظ واضحة ومفهومة وأفكار قريبة لاتعوز الى تفكير « حسن البداية » •

٣ — لابد أن تكون شديدة الصلة بموضـــوع المرافعة فلا يكون بينها وبين المرافعة حين ينتقل اليها فجوة ، بل تكون امتداد للمقــدمة وبذلك يتم ربط الصلة بين المقدمة وموضوع المرافعة •

٤ — من ناحية طول المقدمة أو قصرها يجب أن تكون غير مسرفة فى أى من الجانبين لأنها اذا كانت موجزة جدا لم يكن ثم مقدمة واذا كانت طويلة جدا ذهبت فائدتها أيضا لأنها تستنفد قوة المترافع •

ومن أمثلة افتتاح المرافعة ما يلى :

مثـــال لافتتاحية مرافعـــة :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى الأمى المبعوث رحمة للعالمين ، فان خير بداية دائما هى البدء بحمد الله جلت قدرته على سابغ فضله ونعمته وفائض احسانه ورعايته عليه عز وجل إعتمادنا وبه سبحانه وتعالى اعتزازنا .

وبعـــــد :

فاننى بعد أن استغرقت فى قراءة أوراق تلك القضية وبعـــد أن انتهيت من قراءتها تماما شعرت بدوار فى رأسى وكاد أن يشل تفكيرى وتساءلت وصرخت من أعماقى :

ألهذا الحد يصل ظلم الانسان لأخيه الانسان من أجل المال ؟

ألهذا الحد يصل ظلم الانسان لأخيه الانسان من أجل الحقد ؟

ألهذا الحد يصل ظلم الانسان لأخيه الانسان من أجل الأرض ؟

وانتفضت من أعماقى وتمنيت لو دافعت عن هذا المتهم ليس أمام ساحات القضاء الشريفة بل تمنيت لو دافعت عنه فى ساحات القتـــال الشرسة التى خاضها مع أناس لايعرفون طريقا الا الظلم والعدوان .

وسوف ترون عدالتكم وبأنفسكم أن ماحدث فى هذه القضية من أغرب القضايا وتفوق بحق حكايات الخيال المسطورة .

حضرات المستشارين :

لا يخفى على عدالتكم وكما تعلمنا فى محرابكم هـــذا المقدس أن

لكل دعوى شقين لعل الشق الأول هو الواقع أما الشـــق الثـــانى فهو القـــانون .

وفى الحقيقة فان المتهم فى هذه القضـــية يعتبر مجنيا عليه كما أن المجنى عليـــه هو الجـــانى الحقيقى الذى يحـــاول الايقـــاع بـــذلك الصيد الثمين .

ووقائع هذه القضية تقود بأكملها الى براءة موكلىمن التهمةالمنسوبة اليه . واسمحوا لى يا حضرات المستشارين أن يتنوع دفاعى بخصوص معينة وقائع تلك الدعوى الى النقاط الثلاثة الآتية :

ومن المقدمات المشهورة من كتاب الله تعالى :

١ ــ « رب اشرح لى صـــدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ... » .

صـــدق الله العظيم

٢ ــ « يا أيهـــا الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهـــالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » .

صـــدق الله العظيم

كما وقف أحد المدعين بالحق المدنى فى قضية قتل وقال :

من المعلوم أن المريض اذا أشرف على الهـــلاك أتوا له بأشـــهر الأطباء وأعلمهم وأغزرهم وبالتـــال فان حضور أساطين القـــانون مع المتهم دليل دامغ على ادانته وعلى اشرافه على الهلاك .

ولقد وقف أحد المحـــامين فى قضـــية كبيرة فقـــال : يا حضرات المستشارين :

نقف أمام هذه القضية موقف علماء المنطق من قضاياهم المنطقية انهم يضعون المقـــدمات ثم يرتبون عليها النتائج ، فاذا كانت مقدمات القضية سليمة مقطوعا بصحتها كانت النتيجة المرتبـــة عليهـــا صحيحة مقطوعا بصحتها • يا حضرات المستشارين لقد تنبهت الفتنـــة فى أنحاء قطرنا العزيز وقد كانت نائمة لعن الله من أيقظها •

بهذه العبـــارات أشعر القضاه أن لديه أدلة مقطوعا بها لا تقبل أى طعن أو توهين وعقبهـــا مباشرة أخذ فى شرح المقـــدمات التى كان يريدهـــا •

المطلب الثـــانى

موضـــوع المرافعـــــة

يجب أن يكون (المترافع) سيد موضوعه ومن ثم فان النجـــاح لا يكون الا عن طريق العمـــل الشـــاق والتخطيط الصـــائب والعمـــل التحضير الدائب كما أنه يجب محاولة تذكر التركيب الانشائى • ويجب ألا يبحث المترافع عن الكلمات ولكن يبحث فقط عن الحقيقـــة والفكرة عندئذ تتدفق الكلمات من دون أن تسعى اليها •

ويجب التزام قواعـــد التـــذكرة وتحسين الذاكرة • عن طريق الانطباع ـــ التكرار ـــ ترابط الأفكار • حتى لايتوه مبـــدأ أو فكرة فى المرافعة كما أنه يجب تحضير المرافعـــة قبل الجلسة بيومين على الأقل والا فان الذاكرة ان تعمل الا بنصف مقدرتها الممكنة • لأن العقل هـــو آلة ترابط الأفكار بشكل ما •

والعناصر الأساسية للمرافعة الناجحة :

١ — ضرورة المثــابرة •

٢ — قرار النجــاح •

فلقد كتب شاب ينوى دراسة القانون الى لنكولن يطلب النصيحة فقـــال له :

اذا قررت أن تصبح محاميا تكون قد أنجزت نصـــف العمل تذكر دائما أن قرارك الذاتى للنجاح أهم بكثير من سائر الأشياء •

اذا تابعت الدراســـة الذاتيـــة لفن المرافعـــة بحماس واخلاص وثابرت على التدريب فانه يمكن أن تستيقظ ذات صـــباح جميل وتجد نفسك أحد أبرز المحامين فى مدينتك •

واذا أردت أن تكون محاميا واثقا من نفسك فانك ستصبح واثقا من نفسك لكن يجب أن ترغب فى ذلك [١] •

ولكن يجب على كل شـــخص أن يقوم بتفجـــير المزايا الكامنة فى أعمـــاقه التغلب على الخوف وكسب الثقة بالنفس والبعد عن الارتباك وفقد القـــدرة على التفكير تماما • ومن هنـــا يستطيع المحامى الناشىء أن يكون مترافعا بارعا بالتدريب الجاد ومن خلال المقدرة على القـــاء الخطابات• فعدم القدرة على المرافعة قد يصلبالمحامى الىوضع مخزي للغاية عندما تتضاعف دقات قلبـــه وتتلاشى بالتـــالى الأفكار من رأسه ويقف محرجا كالأخرس • ولا شك أن معالجـــة ذلك لا يكـــون الا عن

---

(١) فن الخطابة — المرجع السابق — ص ٦٥ •

طريق تحضير المرافعــة مسبقا والتدريب عليها باصرار ومن ثم يخف التوتر وتزداد الثقــة بالنفس ويصبح خلال فترة محدده نجم الخطابة والمرافعة بين أقرانه وبالتالى فان كسب الثقــة بالنفس والقدرة على التفكير بهدوء أثنــاء المرافعــة ليس أمرا طبيعيا كما يتخيله البعض وهى ليست فقط مجرد موهبــه وهبها الخالق لأفراد عديدين •• بل ان كل فرد باستطاعته أن ينمى طاقتــه الكامنــة اذا ماكانت لديه رغبــة كامنــة وذلك بالتــدريب والممارســة التى تزيل الخوف وبفك عقــدة اللسان حيث تكون الحــالة العصبية للمترافع أساس ذلك ويلاحظ أن غالبية المترافعين ذوى الجدارة الحقيقية يتميزون بالعصــبية •

فاذا ما تتبعت موضــوعك باصرار وحيوية فمــا من شىء تحت السماء يستطيع أن يهزمك •

واعترف مرة خطيب قائلا : قبل دقيقتين من البدء بالخطاب أفضل لو أنى جلدت على أن استهل خطابى لكن بعد دقيقتين من البدء أفضل أن أقتل على أن أتوقف (٢) •

ويجب أن تفكر مليا وتخطط لحديثك • وتعرف ما الذى ستقوله لأنك ان لم تفعل ذلك ســتكون كالأعمى الذى يقود أعمى فى مثل تلك الظروف • ولذا يجب أن يكون المترافع واع لنفســه يشعر بالنــدم والخجل ان أهمل • ومن ثم لا تتكلم حتى تتأكد أن لديك ماتقوله •

والخطأ المميت الذى يقترفــه الكثيرين هو اهمــال تحضــيرهم للمرافعة فهو خوض للمعركة بعدة فاسدة أو بدون عدة على الاطلاق • ولذلك فان القواعد الصحيحة فى المرافعة هى اتباع مايلى :

---

(١) فن الخطابة ــ المرجع السابق ــ ص ١٤ •

١ ــ التحضـــير :

(أ) لا تأخذ الأفكار المعلبة كمـــا هى من الكتب والا ســـتكون المرافعة هزيلة وناقصة ٠

(ب) يجب ابلاغ الرسالة الحقيقية الى المستمعين ٠

(ج) يجب أن تستخرج المواد الخام من منجمك الخاص ٠

٢ ــ التفكير فى التحضير عن طريق كتابة كل شىء عن الموضوع ٠

٣ ــ تحديد موضوع المرافعة : لماذا ، كيف ، متى ، وأين ٠

اجعل الحـــديث مثل كعكة مزينـــة بالأمثلة والقضـــايا العـــامة والعبارات الخلاقة ٠

٤ ــ سر الطـــاقة الاحتياطية :

المرافعات الرائعة يجب أن تتسلح بمادة احتياطية وافرة وفائضة فلا نكون كمن بدأ دون أن يعرف ما الذى سيقوله وانتهى من دون أن يعرف مانطق به واذلك فانه يجب حفظ بعض الأقـــوال المـــأثورة عن مرافعات كبار المحامين التى ظلت عبر العصور نبراسا يهتدى به فى أشد الأوقات حلكه ٠ ومن أمثلة ذلك :

ــ لو أنصفتنا النيابة العامة لما تركت هذا الشاهد ٠

ــ القضاء هو القـــانون الحى وبغيره يصبح القانون فعلا مجردا عاجزا لا خير فيه ولذلك فنحن نمتلىء احتراما للقضاء ونحيطه بالتقدير والمحبـــة ٠

ـ ولذلك فان ضـوء العـدالة سـوف يلمع دائمـا ويطهر كل ما هو دنس ٠

ـ وسوف يبزغ فجر العدالة على الجميع ٠

كما يجب علاج العمود الفقرى فى القضية ولا تنظر الى الضلوع والتركيز على مفتاح الحـديث فى الدعوى لأن : الحقيقـة ليست بنت الجدل ولكنها بنت البحث الكريم ٠

ومن الأمثلة الانشائية أيضا :

ـ ان اللغم المضىء فى هذه القضية هو كذا أو كذا ٠

ـ واذا كان المنطق هو ذلك الشىء الذى اذا عرض على العقول تلقتـه بالقبول ٠ فان هـذه القضـية قد خلت من أساسيات ومبادىء المنطـق ٠

ـ الضوء الساطع ـ الخليـة الضـوئية ـ الكائنـات الضوئية فى الدعوى ٠

ـ الصيد الثمين قد وقع فى الفخ ٠

ـ ان وقوف المتهم لحظة واحـدة فى قفص الاتهـام ينسيه ألف كتاب قرأه عن الحرية ٠

ـ ان الأدلة هى السلاح البتـار فى الدعوى ولذلك يجب عرض الأدلة تفصيليا ٠

« أقوال مأثورة فى موضوع المرافعــة »

ان الرياء يظل رياء وان قلم أظافره والغش يبقى غشا وان لانت ملامسه ، والكذب لا يصير صـدقا وان لبس الحرير وسكن القصور ، والخداع لا يتحول الى أمانه اذا ركب القطـار أو اعتلى المنطـاد ، والجرائم لا تصـير فضـائل وان سـارت بين المعاهـد والفصول ــ والعبودية ستبقى عبودية ولو طلت وجهها وغيرت ملابسها فهى عبودية ولو دعت نفسها حرية ٠

ويقولون لى اذا رأيت عبدا نائما فلا توقظه لئـلا يحلم بالحرية فالنـاس عبيد الحياة وهى العبودية التى تجعل أيامهم مكتنفـة بالذل والهوان ولياليهم مغمورة بالدموع والدماء وهـذه هى الحقيقة ومن ثم فان الله الخالق سبحانه وتعالى قد جعل الحقيقـة ذات أبواب عـديدة يفتحها لكل من يطرقها بيد الايمان ٠

فماذا أقول فيمن استدان مالى ليشترى سيفا يبارزنى به ورجل فتك برجل آخر فقال النـاس هذا قاتل ظالم ــ وعندما فتك به القاضى قال النـــاس هـذا قاضى عـادل ٠ ورجل حاول أن يسلب الـدير فقـال النـاس هـذا لص شرير وعنـدما سلبـه القـاضى حيـاته قـال النـاس هـذا قاض صـالح ، وامـرأة خانت بعلها فقال النـاس هى زانيـة فاجرة ، ولكن عنـدما سـيرها عارية ورجمها على رؤوس الاشهاد قالوا هذا قاضى شريف فان سفك الدماء محرم ولكن من حلله للقاضى وسلب الأموال جريمة ، ولكن من جعل سلب الأرواح فضيلة ٠ وان خيانة النساء قبيحة ولكن من جعل رجم الأجساد جميلا وان التقاليد الفاسدة تظلم الضعيف اذا سقط أما القوى فتسامحه

وان المجرم لايحاكمه المجرمون، والكافر الشرير لايدافع عن نفسه أمام الخطاه وان الشفقة لا تجوز على اجرمين الضعفاء أما العــدل فهو كل ما يطلبــه الأبرياء وان المــال مصــدر شرور الانسان والحب ينبوع السعادة والنور فالمنجمون لا يحولون مسار النجوم والسجين المظلوم الذى يستطيع أن يهدم جدران سجنه ولا يفعل يكون جبانا .

وجميل أن تعطى من يسألك ما هو فى حاجة اليه ، ولكن أجمل من ذلك أن تعطى من يسألك وأنت تعرف حاجته فان من يفتح يديه وقلبه للعطاء يكون له فرح بسعيه الى من يتقبل عطاياه والاهتداء اليه أعظم مما بالعطاء نفسه .

فليس القتيل برئيا من جريمــة القتل ، ولا المسروق بلا لوم فى سرقته وكثيرا ما يذهب المجرم ضحية لمن وقع عليه جرمه فانما اللص صنيعة المحتكر ، والمجرم خليقة الظالم ، والقــاتل صنيعة القتيل ، والخبيث ثمرة العربيد ، والعقوق نتيجة الصارم .

وقد تفلح الحيلة فى البــداية ولكنها تخيب فى النهــاية والمتفائل ينظر الى الوردة ولا يرى أشواكها ، والمتشائم يحدق فى الأشواك ولا يرى الوردة ولذلك ابعــدنى رباه عن لســان المرأة الأفعى التى لوثت الحياة.فالحياة امرأة تستحم بدموع عشاقها وتتعطر بدماء قتلاها ،وهى امرأة ترتدى بالأيام البيضــاء المبطنــه بالليــالى السوداء وهى أيضا امــرأة ترضى بالقلــب البشرى خليــــلا وتأبــاه جليــــلا . وهى أيضــا امــرأة فاســقة ولــكنها جميلة ومن يرى فسقها يكره جمالها وليس من يكتــب بالحــبر كمن يكتــب بــدم القلب . وقــد بنى الله الأجسام هياكل للأرواح فعلينــا أن نحافظ على هذه الهيــاكل لتبقى قوية فالحب كنز ثمين لا يودعه الله الا القلوب الكبيرة الحساسة .

المطلب الثــالث

ختــام المرافعـــة

ان الخاتمة فى الحقيقة هى أكثر النقاط استراتيجية فى فن المرافعة فما يقوله الانسان فى النهاية هو مايبقى يرن فى الآذان وعالقا بالذهن، ولأهميتها فان الخطباء المشهورين يقروا أنه من الضرورى كتابة وحفظ الكلمات المنــاسبة فى زهنهم . وقد تكون الخاتمة طويلة الى حـــد ما كما قـــد تكون بهـــا مقتطفـــات شـــعرية . ويجب أن تكون الخـــاتمة واضحة مثل طلب براءة المتهم أو الحكم عليه بأقصى العقوبة ومن أهم شروط الخاتمة ما يلى :

١ ـــ ألا تكون بعيدة عن الموضـــوع ولا مجـــددة لأدلة أو آراء جـــديدة .

٢ ـــ أن تكون قوية فى تعبيرها وأيضا فى القائها .

٣ ـــ أن تكون قصيرة على نحو ما وتكون حاسمة ومشوقة .

ومن أمثلة الختام الجيد فى المرافعات :

« أنتم قضـــاة الحق ولكنكم أيضا مربو الخلق وكامة العدل التى بها تنطقون يتجاوب صـــداها فى نفوس ناشـــئة ونفوس ثائرة ونفوس فزعة حائرة فاجعلوا حكمكم رســـالة عدل وبلاغ عبرة وبشرى سلام فاذا جنحتم الى الرحمة فاشملوا بها النشىء وقـــد أوشك أن يأتوى والبلاد وقد دب فيها ذلك الداء الوخيم .

أنتم أطبـــاء النفس كما انكم قضـــاة العـــدل والطبيب البصـــير

لا يتردد ولا ينى عند الضرورة الحاكمة والقاضى الحازم يهذب بالزجر الحكيم ٠

واذنوا بين روعـــة الرحمـــة وقـــد حلت بالبـــلاد وبالنشىء وبين ضالتها ان هى حلت بهـــذا المجرم العتيد ثم اقضـــوا قضـــاءكم والله معكم انه نعم الهادى ونعم النصير ٠

الفصل الثالث

أحكام المرافعة

تمهيد وتقسيم :

سنعرض فى هذا الفصل للأحكام العامة فى المرافعة أمام القضاء الجنائى فى ثلاث مطالب على أن نوضح فى المطلب الأول للارتجال فى المرافعة وفى المطلب الثانى نتناول مقدمات المترافع الناجح ونخصص المطلب الثالث لدستور المرافعة .

المطلب الأول

(ارتجال المرافعة)

لقد جرت العادة على تقسيم المرافعة الى مقدمة أو تمهيد ثم عرض للموضوع يليه المناقشة وهى لب المرافعة وجوهرها .

وخرج البعض على هذه العادة فلم يأبه بالمقدمة ولم يقسم المرافعة الى قسميها التقليديين ـ العرض والمناقشة ـ انما كان يسوق الوقائع ويناقشها معا حتى اذا انتهى من السرد سقطت أدلة الخصم من نفسها ، والمحامون يكونوا مستعدين عند قبول الوكالة لأن يلاقوا وهم يؤدون واجبهم من العقبات والأخطار ما يلاقيه الجنود فى الميدان من طوارىء ومفاجآت .

، وقيل ان المرافعة تمثل العدسة التى تكشف القاضى التعاريج والمنحنيات الدقيقة التى يعتمد عليها الخصوم فى تكييف المنازعة

وتوجيهها نحو مصلحتهم . والقاضى مهما كان ذكيا فطنا أو مهما توافر وقته لبحث الخصومة المعروضة عليه فى حاجة لذلك المنظار يساعده على ملاحظة تلك الوقائع ، وقد تكون من أهم النقط التى توجه تقديره لمصلحة أحد المتخاصمين فيقضى له ، ولولا اكتشافها لقضى للخصم الآخر . ويتعين أن يركز المحامى وينتبه حتى لا ينسى أو يقدم نقطة على أخرى ، وأن يكون ثابتا لا يهتز أو يضطرب اذا فوجىء بما ليس فى الحسبان ، صبورا موطدا النفس على سعة الصدر مهما تعرض للمقاطعة .

وأخيرا فان المحامى يستعمل قوة حجته وسلامة منطقه وجزالة عبارته وسحر شخصيته وشحذ كل حواسه للوصول الى عقل ووجدان قاضيه .

الأسلوب واللغة :

ليس ضروريا أن تكون كل المرافعة بألفاظ مقعرة وباللغة العربية الفصحى ولكنه يتعين الجمع بين الاثنين بحيث يستطيع المحامى أن يدفع الملل والرتابة بعيدا عن قاضيه .

وقد كان الهلباوى يتكلم الفصحى فيفوق فقهاء اللغة ولكن الرجل محام بطبيعته وسايقته فهو يعرف أن العربية الصحيحة ماتزال اليوم لغة صعبة ، وأنها ماتزال تجهد المخاطب والمخاطب .

الدفاع كامل حريته :

فالمحامى يقف غالبا ليدفع عن متهم أحاطته النيابة والبوليس بسياج متين من الأدلة والبراهين ، وأحاطه الرأى العام وصحفه بجرائده بحكم قاس سبق به حكم القضاء . وليس للمتهم الأعزل الا ذلك الرجل الذى وقف علمه وفضله ولسانه على الدفاع عنه ، فان

نحن ضيقنا عليه الخنــاق وحاسبناه على كل لفظ يفلت منه أو تعبير يسبق به لسانه لم نمكنه من أداء واجبه. فحرية الدفاع ملك للمحامين، وأعطيت لهم للمصلحة العــامة ، لمصلحة المواطنين جميعا ، وليس لأحد أيا كان أن يعتدى عليها .

ولقد وقف محام فرنسى مشهور يترافع فى قضــية ، فنسب الى النائب المترافع أنه قــد لجأ فى مرافعته الى استغلال الشهوات الضارة وأن هذا ليس بالأمر الحسن ، فعد قوله هــذا مخالفة تأديبية وحوكم من أجلهــا ، وكان دفاعه عن نفســه أن قال : « أما شخص النــائب المترافع فمنفصل عن مرافعتــه كل الانفصال ، فشخصه محل اجلالى واحترامى ، ولا أبيح لنفسى أن أهاجمه ، ولكنى أهاجم مرافعته ، فهى ملكى ومن حقى أن أمزقها اربا وأن أطأها بقدمى » وقد أدانته محكمة الاستئناف بباريس وقالت ان من حق المحــامى أن يدافع عن موكله ولكن ليس من حقه أن يهــاجم . فردت عليهــا محكمــة النقض بأنه لا دفاع بغير هجوم أننــا اذا ألزمنا المحامى أن يقيس ألفاظه ومعانيه، وأن يخشى ما قــد يعطى لها من تفسير لم يقصــده وأن يرهب ما قد تؤدى اليه من معان لم تخطر له ببال فاننــا نكون قد قضــينا على كل مرافعة ارتجالية ، وأطفأنا جذوة البلاغة القضائيــة ، لأنه لا مرافعة بغير ارتجال .

حرية المرافعة (حرية الدفاع)

ولقــد حرص المحامون دائما أن يكونوا أحرارا فى مرافعــاتهم مشتغلين فيما يختطونه من خطة ولا يخضعون لتوجيه أيا كان مصدره. فلا هم خاضعون لتوجيه القــاضى ولا لتعليمات صــاحب القضية بل مؤدون رســالتهم بما يملى عليهم ضمائرهم لا يرهبون أحدا ماداموا لايعتدون على أحد الا اذا اعتدى عليهم وما لهم اعتداء الا بالقدر الذى يتطلبه الدفاع .. فاذا أحس بضغط من أى نوع كان تعثرت كلمــاته

وضعفت حجته وفقــدت آراؤه جرأتهــا وانطلاقها ولولا حرية الدفاع لضاعت الحقيقة بين الناس اذ لاتجد من يعبر عنها ومتى ضاعت الحقيقة ضاعت العدالة التى هى أساس الحكم وبغيرها تسود الفوضى ولا يقوم نظــام • والمحامون هم أســاس ذلك النظام وهم روح العدالة واذا كانوا لايكتبون الأحكام فانهم يعدون لها ببحوثهم ومرافعاتهم فيقدمون للقضاء المادة الأولية لصناعته (!؟) •

وأولى مميزات المترافع الجيــد هــو التواصــل بحيث يشــعر القاضى أن هنــاك رسالة موجهة من ذهن وقلب المحــامى الى ذهنــه وقلبــه • ويجب أن يكون الالقــاء بالأســلوب الطبيعى حتى ليخيل للمستمع أنك قــد وضعت فى مرافعتك حتى تصبح محاميــا محترما من الطراز المترافع لأن النــاس تتجمع حول المحامى المفعم بالطاقة أو مولد الطاقــة البشرى صاحب الابتسامة الساحرة الذى يجعل الآخرين فى حالة استجابة دافئــة له دائما عندما يجعل مرافعتــه له طبيعيــة كالحديث الودى الدافىء الجميل الممتلىء حيوية وصدقا •

وعند بداية المرافعة لمخاطبة القاضى فيحسن ألا تبدأ بالعجل فتلك سمات المبتدئين بل تنشق نفســا عميقــا وتطلع الى قاضــيك للحظة واحــدة وان كانت هنــاك ضجة فى ساحة المحكمة فترقب قليلا حتى تزول ثم ابدأ مرافعتك كما تريد بكل تلقائيــة وابعث فيهــا الحيــاة بكلماتك المضيئة •

فقد تكون المرافعــة جيدة الأفكار وحسنة العبارات والأسلوب ، ثم لا تظفر بالقاء جيد فتضيع فائدتها اذ لا يفهمها السامعون ولا تجذب انتباههم • وقد تكون أقل من ذلك فى اعدادها ولكن جودة القائها تنهى الى السامعين كل جزئية منها ، فتكون فائدتها أكبر وأكثر •

الالقاء الجيد له قواعد من أهمها ما يلى :

١ — جهارة الصوت وقوته .

٢ — حسن مخارج الحروف وتميز أجزاء الكلمة .

٣ — تلوين الصوت وتكييفه ، فيجهر المحامى مرة ويعلو صوته ويلين مرة أخرى حتى يكون كلامه همسا كما يسرع فى جملة ويمد صوته فى أخرى ولابد أن يميز لهجة الاستفهام من لهجة الخبر وهكذا لايستحسن لهذا أن تكون المرافعة مكتوبة ولا محفوظة ولكن على المحامى أن يعد عناصر مرافعته والأفكار التى يريد نقلها ثم يعبر عنها بطريقته ، وهذا يتوقف على مقدرة المحامى الكلامية ومحصوله اللغوى ومحفوظاته الأدبية كما يتوقف على حسن تفكيره وقدرته على تحليل موضوعه .

٤ — لابد من جودة الالقاء من الاشارات باليد أو بغير اليد أيضا فان هذه الاشارات مما يوضح المعنى ويثبت أثره فى مسامعه ، وفى هذا يقول الجاحظ : « والاشارة واللفظ شريكان . ونعم العون له ونعم الترجمان هى عنه وما أكثر ماتنوب عن اللفظ وتغنى عن الخطأ » فالمحامى الذى لا يكون متأثرا بكلامه يفقد أهم صفات المحامى المؤثرة .

أما من ناحية التدريب على الالقاء فلابد لمن يعد نفسه لهذه المهمة أن يمارسها مرات عديدة وأن يمرن نفسه عليها فى وحدته وبين رفاقه المتدربين حتى يحرز فيها تقدما . هذا كما أنه لابد من التكوين الأدبى بكثرة المحفوظات الأدبية خطبا وشعرا وكتابة مع الدرس التاريخى والتثقيف العام والقراءة المستمرة حتى لا يكون ذهن المحامى راكدا . وهذا ما يفيد المترافع فى الحالات التى يتعرض فيها للارتجال .

فليست المرافعة غزارة علم أو زخرف كلام ، انما حياة الدفاع فى

طريقة عرضه وحسن اختيار الأدلة ودقة ترتيبها وفى تصوير الدعوى والرد على أوجه دفاع الخصوم وخير المترافعين هو الذى يستطيع أن يستقرىء ميول القاضى ويتابع تفكيره ويسبقه الى مايقع فى نفسه من الخواطر والالهامات مما يؤدى الى المزاوجة بين طرق الاقناع والاقتناع التى من شأنها أن يتبعها قبول حسن من القاضى لرسول صاحب الحق .

وتقوم المرافعة على الاسناد القانونى والتدليل المنطقى وقرع الحجة بالحجة وقوة البيان وثبات الجنان والاستعانة — بقدر — بالتأثير العاطفى لاستدرار عطف القاضى أو اثارة غضبه حسبما يتراءى للمدافع تمشيا مع وجهة نظره .

ويتعين أن يكون المترافع يقظا حاد الذهن واسع الصدر والحيلة عند استجواب المتهمين أو مناقشة الشهود لحماية موكله — ومحاصرة الملفقين وشهود الزور حتى تظهر الحقيقة فينكشف البطلان ويتحصل على البراءة .

والارتجال فى المرافعة هو قمة البلاغة القضائية ولا توجد مرافعة بغير ارتجال ويعتمد الارتجال بالدرجة الأولى على حضور البديهة التى هى بطبيعتها هبة من عند الله لذلك يلجأ الكثيرون ومنهم بعض الكبار الى كتابة مرافعاتهم قبل الجلسات بلغة المرافعة وهى لغة تختلف فى طبيعتها وأسلوبها عن لغة المذكرات التى تكتب لتقرأ فيضع المترافع لنفسه فى هذه المرافعة التى تبدو طبيعية تصورا للدفاع لا يحيد عنه ثم يقوم بالتخديم عليه أثناء المرافعة بما يناسب الحال من رصيده المختزن من المقدمات أو النهايات المرتجلة .

والخطباء وخصوصا المحامين يحتاجون الى حضور البديهة ، وسرعة الخاطر ، وربما سنحت للمحامى كلمة من خصمه لم يكن يتوقعها ولكنه يتصيدها بسرعة ويبنى عليها مرافعته ولا تستغنى البديهة

الحـــادة عن ذخيرة الثقـــافة والمحصول الأدبى فالارتجال هو موهبـــة الاختراع فى شكله الأكثر بدائيـــة • انه فن التبـــارى مع المفـــاجىء والطوارىء ، والافادة من الظروف الغير متوقعـــة • على الشاب الذى يود النجـــاح أن يتعلم ممارسة هـــذا الفن الى درجة يصبح معها رد فعل ، بحيث يكون فكره حاضرا دائما وغير مضعضع البته عندما يجـــد نفسه فى موقف لم يواجه مثله من قبل ويمثل الارتجال دورا كبيرا فى المحاكم • وهو ذو أهمية فائقة فى فن تحقيق النجاح فى الحياة العملية والتجـــارة •

طريقـــة الاتجـــال

وعلى المحامى أن يكون دارسا تماما لموضوعه وأن يضع فى ذهنه أو على ورقـــة ما النقـــاط التى يقوم بالتحدث فيهـــا •• وما عدا ذلك يكون خطابه كله مرتجلا وعليه أن يحظى بالدقة ونوع الأسلوب الذى يستعمله لو أراد كتابة مقـــال مجلة وبهـــذا الثمن وحـــده يستطيع أن يشـــترى ذاك الاحســـاس التلقـــائى والاســـتجابة الطبيعية بالشعور والمساواة بينه وبين سامعيه •

فالعيوب المزعومة التى تنسب الى الخطاب المرتجل هى فى الواقع من صـــور جاذبيته فالجمل الاعتراضـــية التى تتضمنها والفواصـــل والعبارات الغامضة والتكرار كلهـــا ذات تأثير فعـــال مادامت النقـــاط موجودة فيـــه وما دام ذلك المحـــامى قادرا على أن يوجه حربته أثناء المرافعة الى حبل الوريد •

عـــدم ارهـــاق المحكمـــة

مامن محكمة تستطيع الاصـــغاء لرجل بانتبـــاه أكثر من ســـاعة واحد فلا تكثر من الاستمرار فى الكلام اذا كان ذلك يرهق المحكمة فاذا لم يكن قـــد أثقل على المحكمة فليتحدث بالقـــدر اللازم لشرح جميع

النقاط الأساسية فى القضية وهنا يجب على المرء أن يحرص على العمود الفقرى فى القضية فلا يحيد عنه الى الضلوع المتفرقة منه وبالتالى يجب على المحامى أن يشعر وأن يجعل المحكمة تشعر لا لأن موكله محظوظ لأنه اختاره كمحام بل أنه هو المحظوظ لوقوع اختيار موكله عليه للدفاع فى قضيته .

عند الالقاء يجب ملاحظة النقاط الآتية :

١ — شدد على الكلمات المهمة واخفض على غير المهمة .

٢ — غير طبقات صوتك .

٣ — توقف قبل وبعد الأفكار المهمة .

٤ — غير معدل سرعة صوتك .

فالموهبة حضور وشخصية .

فالناس تعجب بالمحامى المطعم بالطاقة حول مواد الطاقة البشرى صاحب الابتسامة الساحرة ولذلك فانه يجب أن تجعل خطابك للمحكمة كالحديث — طبيعيا — عندما تنهض لمخاطبة المحكمة .

ولن تستطيع أن تجعل القاضى يتفهم موضوعك الا عندما تفهمه أنت وكلما اتضح الموضوع فى ذهنك كلما استطعت تقديمه بوضوح فى ذهن القاضى . استخدم أمثلة عامة ووقائع محددة وأحاديث قدسية والقرآن الكريم ويجب استخدام الكلمات التى ترسم الصور مثل كلمة الضوء وحفظ بعض الأقوال المأثورة هو جواز السفر للوصول الى المحكمة .

وتحسين الأسلوب :

فالمحامى يقاس من خلال حديثه ومرافعته ويجب محاولة صقل التعبير والتحدث بأسلوب جيد بعدم خرق قواعد اللغة وازعاج الأذان حيث يوجد محام موهوب منحته الطبيعة هبة تأليف الكلمات ومن هؤلاء تأتى أروع الخطب .

المطلب الثانى

مقومات الترافع الناجح

لاشك أن الخطابة منصب خطير ومرتقى صعب المنال ، لا يصل اليها طالبها بيسر بل يحتاج مبتغيها الى زاد عظيم وصبر ومعاناة ، واحتمال المشاق ليصل الى تلك الغاية السامية .

والنبى ﷺ هو القدوة لكل ناصح وخطيب ، فمهما اقتدى الخطيب بهدى النبى ﷺ نال من النجاح بقدر موافقته وتوفيق الله عز وجل له .

قال الجاحظ : أوتى ﷺ المهابة ، وغشى الله كلامه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، فلم تسقط له حجة ، ولم تعثر له كلمة ، ولم يغلبه خصم وانما أوتى جوامع الكلم ﷺ . كما قال أحمد شوقى :

فاذا خطبت فللمنابر هزة   تعرو الندى وللقلوب بكاء

وتاريخ المرافعة القضائية يرتبط بلا ريب بتاريخ انشاء القضاء ولكن المرافعة نشأت قبل القضاء لأنها نوع من المحادثة ومخاطبة البشر كما أن نجاح المحامى وفشله يرجع الى أمرين رئيسيين : جودة المعلومات التى يقدمها أو ضحالتها ، وحسن القائه أو ضعفه

فالمحامى المطلع الذى يمد القــاضى بمعلومات جــديدة غير الذى يكرر معلومات يعرفهــا السامعون والذى يلقى مرافعتــه بطريقــة فنية ، معبرة موحية ، غير الذى يسرد المعلومات سردا وفن الخطابة هو فن مخاطبة الجماهير بطريقة القائيــة تشتمل على الاقنــاع والاستمالة • فمن الخطباء من يكون فاتر الالقاء ضعيف التأثير فتضيع أدلته الكثيرة المقنعة هباء • ومنهم من يأتى بأدلة أقلأو أضعف ولكنه يثير عواطف السامعين ويلهب مشاعرهم فيتحمسون لتنفيذ فكرته ويحاول كل واحد منهم أن يعمل على تحقيق شىء منها بقدر طاقته •

ومن سمات الأسلوب الخطابى وضوح العبارات وظهور معانيهــا بحيث يكونالغرض الذىيهدف اليه مفهوما للسامعين • وبعض الخطباء يجعل خطبتــه كلها باللغة العامية وهذا خطأ كبير فاللغة الفصحى لهــا جمالها وتأثيرها حتى على العامة واستعمال العامية الخالصة أو الاكثار منها يفقد الخطبــة هــذا التــأثير ثم ان بين المستمعين مثقفين ، ولا يستريحون لهذا الأسلوب بل يؤذى شعورهم •

ولن يستطيع المحامى أن يجعل القــاضى يفهم موضــوعا ما الا عندما يفهمه هو وكاما اتضح الموضوع فى ذهنــه كلما استطاع تقديمه بوضــوح فى أذهان الآخرين ويفضــل اســتخدام أمثلة عامة ووقائع محددة فى موضــوع المرافعــة • بحيث أن يعتمــد المترافع على منح الحمــاس والاثارة وبحيث أن يقوم أيضا بتحسين أسلوبه فهو جواز المرور الذى يدخله فى عداد المحامين الناجحين لأن الفرد يقاس كل يوم من خلال حديثــه بالاســتخدام الــدقيق والصحيح بحيث يصــبح موهوبا بفن هبــة تأليف الكلمات ليصل الى أروع الخطب عن طريق سمة المحفوظــات الأدبيــة من الشعر والنثر ومأثور كــلام العــرب

من الحكم والأمثال والوصـــايا هذا فضـــلا عن حفظ الكثير من القرآن وحفظ الكثير من الأحاديث النبوية • ونجد المحامين فى المحاكم وأعضاء البرلمانات يستعينون بالآيات القرآنيـــة والأحاديث فى تاييـــد وجهـــة نظرهم وفى رفع أسلوبهم الخطابى • وليس الغرض من هذه المحفوظات هو الاستشهاد ولكن الغرض منها هو اللغة وسهولة التعبير •

وأيضا من أهم الشروط الجرأة والشجاعة والثقـــة بالنفس بمـــا يقول ومن نصـــائح الأقـــدمين : انك لا تتعلم الخطـــابة حتى نتعلم القحة والمراد بالقحة عدم المبـــالاة بأى شىء يكون معارضا له ويرجع ذلك الى الجرأة وقوة الجنان ومن أمثلة ذلك :

أيها السادة الى هنـــا صفقتم وضحكتم لأن الرجل خدعكم بكلام معسول ولكن انظروا ههنـــا مايستحق أن تتـــأملوه • ومع كل هـــذه الصفات السابق ذكرها فى التدريب العملى والاعداد النفسى لمواجهـــة الجمهور لابد له أن يتوقع الفشل مرات كثيرة شـــأنه فى هذا الشأن كل متعلم يسقط مرة وينهض مرة أخرى حتى يتم تكوينه وتربيته ، وانك واجد فى تاريخ الخطابة أشخاصا كانوا يخطبون للمقاعد الخالية وأمواج البحر ولأشـــخاص وهميين وقد اجـــدى عليهم ذاك وخرجهم خطبـــاء متفوقين وممتازين •

ومن شروطه أن يكون عالمـــا باللغـــة العربيـــة • وبالأخص علم الانشاء كى يقتـــدر على تأليف كلام بليغ وتنسيق درر مضيئة يشرق نور أسرارها على أفئـــدة السامعين فيسحرهم ببـــديع لفظه ويختطف ألبابهم بجواهر آيات وعظه •

ومن شروطه أن يكون لسنا فصيحا منطلق اللسان معبرا عما يخطر بباله من المعـــانى الكامنة فى ضميره ويبرز ما انطوت عليه السريرة من جليل النصائح وجميل الارشادات •

ومن شروطه أن يكون وجيها تهابه القلوب وتجله العيون وتعظمه النفوس يهابه الصغير ويوقره الكبير حتى يكون لكلامه تأثير ويجد له سميعا يعى ما يقال ويعمل بما يسمع .

ومن شروطه أن يكون عالما بالقرآن والسنن والفروع واللغة العربية وأن يكون نبيها وسلاحه أدوات الكلام فلا يكون التغ ولا ألدغ ومن مقوماته دراسة أصول الخطابة وسعة الثقافة .

ومن أهم شروط المحامى المترافع أن يقوم بحفظ آيات من القرآن الكريم وحفظ الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية والامثال العامية والمواعظ والحكم والوصايا .

المطلب الثالث

دستور المرافعة

تمهيد وتقسيم :

نعرض لدستور المرافعة فى هذا المطلب على أن نوضح أولا الدستور الأساسى للمرافعة الجنائية ثم نوضح بعد ذلك دستور العمل على قهر الخوف الناشىء عن المرافعة بعد ذلك .

أولا : دستور المرافعة (١)

١ — لا ترتكن على مقدرتك الكلامية ، وبلاغتك فى التعبير ، بل أعدد قضيتك كما لو كنت لا تحسن الكلام .

---

(١) حسن الجداوى — اراء متناثرة عن نهضة الجبابرة — كنوز المحاماة المرجع السابق — ص ٣٤ .

٢ ــ الوضوح وحسن التعبير أفيد للمترافع من قوة الحجة ٠ فلا قيمة للحجة اذا لم يحسن المترافع شرحها ٠

* * *

٣ ــ لا يكفى أن تلقى المرافعة واضحة مستوفية الحجج مرتبة ، بل يجب أن تعرف كيف تعـالج قاضيك وتلعب على أوتار قلبه ٠ فالعلم وحده لا يكفى ، وبلاغة التعبير وحدها لا تقنع ٠ بل يجب تغيير طريقتك تبعا لحـالة قاضيك النفسية ٠ وعليك أن تروض نفسك على الاستفادة بحوادث الجلسة ، وأن تدلى بحجتك فى الوقت المناسب ليزداد أثرها ، وأن تعرف كيف تهـاجم حين يكون الهجوم ضروريا ومفيـدا ٠ ومتى تصمت حين يكون الصـمت أوقع ، ومتى تبتسم ومتى تعبس ، ومتى تلجأ لتأثير العـاطفة ، ومتى تتحدث الى عقل القاضى ، **فكثيرا ما يكون التمثيل مكملا لصناعة المحاماة ٠**

* * *

التحمس والعناد فى سبيل كسب الدعوى يجب ألا ينسيا المحامى أنه انما وكل فى الدعاوى ليحول دون ترك العنان لشهوات الخصـوم ولددهم ، ولكيلا يدع مجالا لأصحاب القضايا فيعكروا على العـدالة صفوها ٠ فكل لفظ ناب ، وكل اهانة ، وكل تعرض لأشخاص لا شـأن لهم بالدعوى ، أو ذكر لوقائع غير مجدية ، أو سب ، يجب على المحامى الذى يحترم نفسه أن يتجنبه أداء لواجبه ، وتحقيقا للعدالة ٠

* * *

أن المحامى والقاضى والنـائب أقاليم ثلاثة تتكون منهـا وحـدة العـــدالة ٠ فاحترام المحـامى لقاضـيه ولممثل النيـابة ، والتزامه الأدب والنظام والدقـة ، انما هو احترام لنفسه ٠ ولا يكون الاحترام فى المظهر الخارجى وحده ، بل هو احترام لرسالة العدالة المقدسة ، ولمن حملوا أمانتها ، فهو احترام عميق أصيل ٠ وانما نما القضاء وسيطر ،

ومكن له ، وثبتت أحكامه ، على أصوات المحامين ، وبفضـــل جهودهم وبحوثهم •

* * *

٤ ـــ لا تترافع للجمهور • ان حجتك تفقد الكثير من قوتهـــا اذا أحس القاضى أنك لا تسعى لاقناعه بل تريد الظهور •

* * *

٥ ـــ لا تهـــاجم قاضـــيك ولا تتملقه •

* * *

٦ ـــ قد يترافع المحامى ساعتين ويكون مقلا • وقد يترافع غيره خمس دقائق ويصبح مملا •

* * *

٧ ـــ أقلل من السخرية • واذا استعنت بهـــا فكن حصيفا ، فان القاضى لا يسره أن تسليه على حساب خصومك •ولكنه يتوقع منك أن تقـــدم اليه حججا مقنعة ، يستعين بها فى تركيز حيثيات حكمـــه على أرض صخرية صلبة •

* * *

٨ ـــ اجتهد أن تستحوذ على انتباه قاضيك عند أول جملة تقولها، ولخص موضـــوع البحث فى ألفـــاظ قليلة واضحة لتضمن أن يتابعك القاضى حتى نهاية مرافعتك •

* * *

٩ ـــ ليس معنى حرية الدفاع أن تتحدث فى مسائل بديهيـــة ، أو خارجة عن موضـــوع الدعوى ، أو تتعرض لأشـــخاص لا علاقـــة لهم بالدعوى •

١٠ — لا قيمـــة لحرية الدفاع اذا اســتعملها المحــامى فى نشر المفتريات وجبن عن فضح المظالم •

* * *

١١ — تذكر وأنت تترافع أن الكلام الغــامض عن وقائع واضحة يجعلها غير مفهومة ، فى حين أن الحــديث الواضح عن وقائع غامضــة يلقى عليه بصيصا من النور •

* * *

١٢ — ان كانت قضيتك ضعيفة فلن تستفيد شيئا من اخفاء نقطة الضعف فيها ومحاولة الدفاع عما لا يحتمل دفاعا • وخير لك أن تعترف بما لا سبيل الى انكاره ليسهل عليــك اقناع قاضــيك بقبول ما تريد اقنـــــاعه به ، **فان الاخلاص فى عرض الوقائع ومناقشــة الأدلة هو سلاحك البتـــار •**

* * *

١٣ — معرفة الحقيقة شىء والتعبير عنها والاقناع بها شىء آخر • ان اقناع القاضى يتطلب — فضلا عن قوة التعبير — طريقتــه ، وذلك السر الخفى الذى لا يتمتع به الا القليلون ، وهو ملكة بث الثقـــة ، بل فرضها فرضا على السامعين •

* * *

١٤ — ابتعد عن تعبيرات الملق • **لا تطلب شــيئا من (عدالة) المحكمة ، بل اطلب حقك من المحكمة نفسها • فان عدالة المحكمــة ان كانت موجودة فهى فى غنى عن تملقــك ، وان لم تكن موجــودة فلن يوجدها تملقك •**

* * *

١٥ — أولى خطوات الاقتنــاع أن تكسب انتباه من تتحدث اليه•

فان لم تفعل فان بلاغتك وقوة حججك وأســانيدك القانونيـة تذهب كلهـا هبـاء •

***

١٦ — احرص على ادخال حجتـك القوية الى الأذن غير منتظرة الاذن كما يقولون • لا تقـدم لها بقرع الطبول ، بل سقها فى الوقت المناسب ، عندما تتبين أن الآذان والقول مهيأة لقبولها •

***

١٧ — اهتم بالجانب المظلم من قضيتك أكثر من اهتمامك بالجانب المضىء • فالجانب السهل يتولى نفسه بنفسه •

***

١٨ — لا تحاول نفى ما لم يثبتـه خصمك فتستكمل بذاك الحلقة الناقصة من سلسلة أدلته •

***

١٩ — السباب ليس حجة أيا كان مصدره • والتوكيد ليس دليلا أيا كان قائله • والصوت المرتفع لا يحل اقناعا • انما يأتى الاقتنـاع اذا صـدر من القلب • فانما تأتى قوة الرصاصـة من قوة البندقيـة التى تقذفها •

***

٢٠ — لا ينحصر فن المحامى فى اعداد أفضل الأسلحة ليستعملها فى المعركة ، بل فى معرفة كيف يستعملها وخاصة متى يستعملها •

***

٢١ — ساير قاضـيك فى طريقـة تفكيره هو ، لا فى الطريقة التى تعتقد أنه يجب أن يفكر بها ، فمهمتك أن تجعل القاضى يقتنع بحجتك ويحكم لك ، لا أن تبين للسامعين أنك مصيب وأن قاضيك مخطىء •

٢٢ — ابدأ مرافعتك دائما فى هدوء وتواضع • واسترسل فيهـا حتى تعد آذان القضاء لسماع صرخات غضبك أو استهجانك طبيعيـة وموضـوعية ، فـلا يستكثرها أحد ولا يستهجنها • أما الصراخ منذ البداية ، والصوت الغاضب قبل أن يدرك السامعون له سـببا ، فانه ينفرهم بدلا من أن يسترعى اهتمامهم •

* * *

٢٣ — من الخير أن تسأل نفسك من أين تبدأ مرافعتـك ، ولكن الأفضل أن تعرف متى وكيف تنتهى منها• فان الاطالة ضارة ، والتكرار أضر ، واملال القاضى أسوأ وقعا منهما •

* * *

٢٤ — يجب أن يكون الدفاع كاملا والا كان بلا جدوى• كالحرف الأبجدى لا قيمة له الا بالأحرف المكملة للكلمة •

* * *

٢٥ — القاضى ومحامى الخصم وممثل النيابة وشـهود الدعوى يخضعون جميعا للمحامى الملم بقضـيته • اذا خسر دعواه — كما لابد أن يحدث أحيانا — فانمـا يخسرها وهو مقتنع بأنه لم يضـعف أمام القاضى ، ولا تغلب عليه محامى الخصـم ، وانه انما خسر دعواه لأن العـدالة اقتضت ذلك ••• أو لسوء حظ موكله ••• ولكنه يستطيع أن يخرج من الجلسة رافعا رأسه ، راضيا عن نفسه ••• لأنه لم يقصر فى أداء واجبـه •

* * *

٢٦ — ابتعد عن الخطأ ، فالوقوع فيه يسهل ، والتخلص منـه صـعب •

* * *

٢٧ — اذا تبـادل قضاتك الحديث أثناء مرافعتك ، فافترض أنهم

يتبادلون الرأى فى قضيتك • فلا تغضب ولا تظهر استياء بل توقف عن المرافعة ودعهم يصلوا الى رأى فى الحجة التى كنت تدلى بها ثم أعد عرضها مصقولة فى ثوب جديد •

٢٨ — الحجة المتكررة كالطعام الذى يعاد تسخينه كن طبيعيا لا تتواضع كبرا ولا تتكبر عجرفة • لا خضوع ولا استعلاء لا تكثر من الحركات • انك تجعل القاضى يلتفت الى حركاتك ولا يصغى الى حديثك •

ثانيا : كيفية قهر القلق عند المرافعة

ان الحقيقة الواضحة أنه مهما كتبت ومهما قرأ القارىء الكريم عن أسباب القلق فى الدعاوى وخاصة الجنائية فان ذلك لن يحل كثيرا من المشاكل النفسية عند نظر كل دعوى •

ولكن دعونى أوفر لحضراتكم بعض النقاط الأساسية التى يجب أن يكون عليها المحامى حتى يستطيع أن يتغلب على القلق الذى يسببه انشغاله على القضية •

١ — اسأل نفسك عن أسوأ الاحتمالات التى يمكن أن تحدث ثم هيىء نفسك ذهنيا لقبول أسوأ الاحتمالات فاذا حدثت نسبة أقل فهذا أيسر •

٢ — لا تفكر فى بداية القضية كثيرا وتنشغل على نتيجتها بل اعمل فالعمل هو خير سلاح للقلق فى هذه الحالة •

٣ — اذا حدثت نتيجة قضية غير متوقعة فارض بما قسمه الله لك وارض بما ليس منه بد •• وما تشاءون الا أن يشاء الله • وقدر الله وما شاء فعل وارادة الله فوق كل ارادة • وبالتالى اجعله فى حكم الماضى ولا تفكر فى الماضى فليست هناك

قوة بوسعها اعادة الماضى وانشر ذهنك بخواطر الطمأنينـــة والشجاعة وأن تتجنب القصاص من الخصوم فأنت مجرد وكيل •

٤ — استرح قبل أن تبـــدأ تلك القضـــية وتعلم كيف تسترخى وأنت تزاول عملك •

٥ — لا تجادل اذا كنت مخطئا واعلم أن خير السبيل لكسب جدال هى أن تتجنبه وسلم بخطئك اذا كنت مخطئا •

٦ — بالنسبة للموكلين كن مستمعا طيبا وشجع غيرك على الكلام عن نفسه وعن قضـــيته وأظهر اهتماما بالناس وابتسم فمن لايستطيع الابتسام لا يجوز أن يفتتح مكتبا للمحاماة واجعل الموكل يشعر بأهميته باسباغ التقدير والفت نظره الى أخطائه من طرف خفى •

٧ — قدر للقضية أسوأ احتمال تراه وأخبر به الموكل فاذا حدث أقل فلن يكون هناك أثر •

وفن الحديث الخاص مع رواد المكتب يكمن فى النقاط الآتية :

ابتسم تبتسم لك الدنيا

واجعل مصافحتك حارة

والصـــداقة رائدك

اذا لم تتفق فى الرأى فكن صبورا وأحب لأخيك ماتحبه لنفسك

فالتذرع بالفشل فرار من المسئولية

ولا تفقد روح الفكاهة وتذكر أن من لايستطيع الابتسام لايمكن أن يكون محاميا ناجحا •

ودع الشكوى وكن متفائلا •

كما يجب مواجهة الحقائق بتدبر وشجاعة .

وارسم برنامجك وفقا لاتجاه مزاجك .

ويجب أن تنشد الاسترخاء دائما كما أن الارتواء الجنسى المشروع هو الطريق الطبيعى للراحة النفسية .

فلنحاول اذن أن نحدد الصفات الطيبة فى كل انسان نلقاه .

انس الملق وامنح تقديرك المخلص المنزه . كن مبذرا فى مديحك مسرفا فى تقديرك يدخر الناس كلماتك سنوات طوال حتى بعد أن تنساها أنت .

ست طرق لكى تحبب الناس اليك :

١ — اظهر اهتماما بالناس .

٢ — ابتسم .

٣ — اذكر أن اسم الرجل هو أجمل وأحب الأسماء اليك .

٤ — كن متحدثا طيبا وشجع محدثك على الكلام عن نفسه « كن محدثا بارعا » .

٥ — تكلم فى يسر محدثك ويلذ له .

٦ — اسبغ التقدير على الشخص الآخر واجعله يشعر بالأهمية .

ان سر الصفات الناجحة أن تصغى باهتمام لمحدثك فلا شىء آخر يسره أكثر من ذلك . مستمع صبور عطوف .

الفصل الرابع

بعض مرافعات

النصف قرن الأولى من القضاء

جمعها حضرة صاحب العزة مصطفى حنفي بك [1]

قضية مقتل المرحوم بطرس غالى باشا

أمام محكمة الجنايات المشكلة تحت رياسة جناب المستر دلبروغلى وبحضور حضرات أمين بك على وعبد الحميد بك رضا مستشارين دور شهر أبريل سنة ١٩١٠

قطع من مرافعة حضرة صاحب السعادة عبد الخالق ثروت باشا النائب العمومى

ان الجناية المطروحة عليكم اليوم ليست من الجنايات العادية ، بل هى بدعة ارتج لها القطر بأكمله ، ابتدعها الوردانى فيه وكان الى اليوم طاهرا منها .

لم يكن من قصدى أن أطيل الكلام فى الجريمة من حيث ثبوت ارتكابها ، فان المتهم سجل على نفسه باقراره سواء أفى التحقيق أو أمام قاضى الاحالة أنه قتل المرحوم بطرس باشا عمدا بعد سبق اصرار

---

(١) عن الكتاب الذهبى — ص ١٩١ وما بعدها — المرجع السابق .

على القتل والترصد له ، ولكن الدفاع أسمعنا فى الجلسة الماضية ٣٣ شاهدا . سمعت شهادتهم وفكرت فيها فألفيتها تحوم من بعيد حول نقط يريد الدفاع أن يدرأ بها عن المتهم مسئولية القتل من جهة خاصة، ويخفف بها مسئوليته عن الجناية من جهة عامة .

فكان لابد لنا من الكلام عن هاتين المسألتين وان كنا لا نرى هذه الطريقة التى يسلكها الدفاع الا بعيدة جدا فى التأدية الى هذه الغاية .

وبعد أن تكلم سعادة النائب العمومى عن هاتين المسألتين باسهاب قال سعادته :

« ان الوردانى بجنايته قد عمد الى خرق حرية القوانين السماوية والبشرية . عمد الى قتل النفس التى حرم الله قتلها . عمد الى ازهاق روح بريئة من غير ذنب . عمد الى حرمان انسان من أقدس حق له فى هذه الدنيا . عمد الى حرمان عيلة من معيلها وأمة من رجلها وحكومة من رئيسها . عمد ، وأطاع هواه ، وأطلق رصاصته ، فماذا جرى ؟

فانظروا يا حضرات القضاة كم أساء الوردانى بجنايته الى هذا البلد الأمين الأسيف ! فماذا جنت عليه مصر ؟ ولماذا هو يضرها كل هذا الضرر ؟ لعله يدلى بخدمة الوطن .

ان الوطنية التى يدعى المتهم الدفاع عنها بهذا السلاح المسموم لبراء من مثل هذا المنكر .

ان الوطنية الصحيحة لا تحل فى قلب ملأته مبادىء تستحل اغتيال النفس . ان مثل هذه المبادىء مقوضة لكل اجتماع .

فماذا يكن حال أمة اذا كانت حياة أولى الأمر فيها رهينة حكم متهوس يبيت ليله فيضطرب نومه وتكثر هواجسه ، فيصبح صباحه ، ويحمل سلاحه ، يغشاهم فى دار أعمالهم فيسقيهم كأس المنون .

ثم استطرد سعادة النائب العام فى الكلام الى أن قال :

ماذا يريد الوردانى ؟ أيريد ألا يكون حكم ولا حاكم ؟ أيريد أن تكون الفوضى بعد النظام ؟ أيريد ضرا ودمارا عاجلين ؟

هذه ، يا حضرات القضـــاة ، الغاية التى استحل الوردانى من أجلها قتل النفوس ليصل بوطنه اليها خدمة له ومحبة فيه .

هذه هى الغاية التى ظنها شفيعا له لديكم ، وسببا لعطفكم عليه وشفقتكم به .

ان جناية الوردانى لأشد ضررا ألف مرة من جناية كل مجرم قاتل أو سارق أو قاطع طريق ، فان هؤلاء جنايتهم فردية وجناية الوردانى على أمته ووطنـــه . وهؤلاء يمكن الاحتراس منهم وتوقى أضرارهم، وهو يأخذ الناس فى مأمنهم غيلة وعلى غرة منهم وما لهم منه من واق .

ان كان الوردانى أراد بفعلته أن يخدم بلاده فلقد ساء طريقـــه الى هذه الخدمة. ان كان أراد أن يحييها من الجناية فلقد صدع كيانها صدعا ، وأضر بهـــا ضررا بالغا بتلطيخه صحيفتها بالدماء وقـــد كان أمامه لخدمتها طريق من طرق مشروعة .

كان فى وسعه أن يحارب خصمه بغير ذلك السلاح القاتل ، فان كان على حق خرج من هذا النضال بطلا شريفا سائرا به وبنفسه الى خدمة الوطن ، لا أن يلقى اليه تلك الرصاصات ليذهب به الى عدم يسير اليه قاتلا أثيما . بئست المبادىء مبادؤه ، ولعنـــة الله عليهـــا باسم الانسانية التى انتهك حرمتها ، والحرية التى خرق سياجها ، والوطن الذى جنى عليه .

ياحضرات القضاة : الآن بيدكم الأمر . ان هى إلا كلمة تخرج

من أفواهكم لا تسألون عنها الا أمام ضـمائركم وأمام الله سـبحانه وتعالى ، وبها تبددون ظلمات أحاطت بالبلاد ، وبها تستأصلون جرثومة خبيثة يخشى منها على عقول النشء . وأنا على يقين من أنكم ستجيبون صوت الحق والعدل .

فالانسانية تستصرخكم لما أصابها من جراء هذه الجناية الفظيعة فتحكمون بالاعدام على هذا الجانى .

دفـــاع

حضرة الأستاذ محمود بك أبو النصر

لما دعينا للدفاع فى هذه القضـية تمثل لنـا ذلك الحادث الجلل بنتائجه وأسبابه ، فشعرنا بعظم المسئولية التىاحتملناها أمام ضمائرنا وأمام الله والنـاس . نعم ان المسئوليـة كبرى ماكنـا لنتقـدم الى احتمالها لو لا ثقتنـا بعدل القضاء واستقلاله .

حدث ذلك الحادث الأليم فعمت الدهشـة البـلاد ، واستحكم الذهول فى بعض العقول ، فتسرع من تسرع الى اتخاذه مثارا لأحقاد وضغائن يشهد الله أن لا وجود لها الا فى بيداء الخيال والوهم .

نعم سمعنا ، والأسف ملء قلوبنا ، سمعنا صـيحة كانت أشـبه بأصـوات الانتقام منهـا بتكييف الحالة الواقعة . أوشك الجو بهذه الصيحة أن يزداد ظلاما فتشابه الأمـر ، واتسعت دائرة المسئوليـة الجنائية عن مركزها الحقيقى . أخذ البرىء بغير البرىء ثم سـيقوا جميعا الىالمحاكم فلم يلاقوا منعدل القضاء واستقلالهسوى ماتعلمون. وكان من نتـائج هـذا التهويل فى هذا الحادث والخروج به عن حـد المعقول وحقيقته الثابتـة أن قام بيننـا بالأمس ذلك الضيف الكريم يهرف بما لا يعرف . ليته وقف بتهجمه عنـد حـد البحث — خطأ أو

صـــوابا ــ فى كنه ذلك المصاب العظيم ، ولكنه أجلس نفسه ظلما على منصة القضـــاء وأصدر حكمه فى قضيتنا كما يشاء (يقصد بذلك خطبة المستر روزفلت التى اتهم فيها الأمة بالتعصب الدينى) •

أجل يا حضرات المستشارين • لا مثل هذه الصيحة المنكرة ، ولا ماهو أشد وقعا منهـــا ، واجد سبيلا الى نفوســـكم الكبيرة وعقولكم الرزينة فى تقدير مسئولية الوردانى• ذلك الذى اختارته الأقدار ليكون حكمكم فى حادثته مظهرا جـــديدا من مظاهر الاستقلال القضـــائى فى محاكمنا الجنائية • اختارته ليكون حكمكم فى قضيته برهانا ساطعا على وجود تلك الضمانة الكبرى فى قضائكم المتعالى عن الشبهات • اختارته ليكون حكمكم فى هـــذه الظروف اثباتا شـــافيا للنـــاس عن معنى ذلك الثبـــات الكامل ، والسكينـــة المطلقـــة ، والتجرد عن كل شىء الا عن النظر الحر فى تلك الحادثة مع رعاية الظروف والأسباب فلا تهزمكم صيحة ، ولا تؤثر فى رأيكم ضوضاء •

ثم أخذ الأســـتاذ أبو النصر يتكلم عن ســـبق الاصرار والسبب الذى دفع المتهم الى ارتكاب جرمه • وبعد أن انتهى من كل ذلك تقدم الى المحكمة بطلب الرحمة • ومما قاله فى ذلك :

لا أريد بالرحمة أن تتجاوزوا للمتهم عن شىء مما يستحقه غدلا، لأنى لا أقول ان الرحمة فوق العـــدل ، بل أقول ان الرحمة هىأقصى وأسمى مرتبـــة من مراتب العدل • فاذا طلبتها فانما أطلب العدل فى أرقى معانيـــه •

أطلب العـــدل المجرد من كل مؤثر • ذلك العـــدل الـــذى يقضى بقصاصين ، مختلفين اختلافا كبيرا ، على شخصين ارتكبا جريمة واحدة فى ظروف متشابهة لمـــا يتبين فيهما من اختـــلاف الطبـــائع ، وتغـــاير المقاصد وتباين الأسباب •

انى على ثقة تامة من أنكم ستقدرون لهذا المتهم من زمان العقوبة ما يصلح تقــديره لمثله • وبديهى لديكم أن قليل العقوبة عنده يعادل كثيرها عند غيره من المجرمين العاديين •

رب ساعة واحدة فى السجن تعادل شــهرا أو أياما • العقوبات مقدورة ، وأرقاها فى سلم العــدل ما روعيت فيه أحوال الارادة صحة واعتلالا وقوة وضعفا ، وهو مالا سبيل اليه الا باعتبــار المشخصات الذاتيــة لكل متهم ، والظروف الخصوصــية لكل تهمــة • فاذا اقتضى العدل أن تعاقبوا فلتكن العقوبة على هذا المبدأ القويم •

فاحكموا وسيحفظ التاريخ حكمكم فى هذه القضية ليكون آية من آيات العدل • فلا تنسوا للمتهم ما قــدمته من الاعتبــارات ، وعلى الخصوص تحرر عمله عن سبق الاصرار ، وتغلب الأسباب على ارادته وتأثيرها فى مزاجه العصبى الى الحد الذى عرفناه •

دفـــاع

حضرة الأستاذ أحمد لطفى بك المحامى

ترافع الأستاذ أحمد بك لطفى عن المتهم وطلب الى المحكمة اعتبار الواقعة مجرد شروع فى قتل لأن الوفاة لم تنشأ عن الاصــابات التى أحدثها به المتهم • وكذلك طلب أن يوكل الى طبيب اختصاصى فحص المتهم لتقــدير مسئوليته عن الجريمة التى ثبتت عليه • وبعد الانتهاء من دفاعه خاطب المتهم بما يأتى :

أما أنت أيها المتهم

فقد همت بحب بلادك حتى أنساك ذلك الهيام كل شىء حولك ،

أنساك واجبا مقدسا هو الرأفة بأختك الصغيرة وأمك الجزينة فتركتهما يبكيان هذا الشاب الغض ، تركتهما يتقلبان على جمر الغضا . تركتهما يقلبان الطرف حولهما فلا يجدان غير منزل مقفر غاب عنه عائله . تركتهما على ألا تعود اليهما وأنت تعلم أنهما لايطيقان صبرا على فراقك لحظة واحدة فأنت أملهما ورجاؤهما .

دفعك حب بلادك الى نسيان هذا الواجب ، وحجب عنك كل شيء غير وطنك وأمتك ، فلم تعد تفكر فى تلك الوالدة البائسة وهذه الزهرة اليانعة ، ولا فيما سينزل بهما من الحزن والشقاء بسبب ما أقدمت عليه .

ونسيت كل أملك فى هذه الحياة ، وقلت ان السعادة فى حب الوطن وخدمة البلاد ، واعتقدت أن الوسيلة الوحيدة للقيام بهذه الخدمة هى تضحية حياتك ، أى أعز شيء لديك وادى أختك ووالدتك، فأقدمت على ما أقدمت راضيا بالموت لا مكرها ، ولا حبا فى الظهور . أقدمت وأنت عالم أن أقل ما يصيبك هو فقدان حريتك ، ففى سبيل حرية أمتك بعت حريتك بثمن غال .

فاعلم اذا أيها الشاب أنه اذا تشدد معك قضاتك — ولا أخالهم الا راحميك — فذلك لأنهم خدمة القانون وهذا هو السلاح المسلول فى يد العدالة والحرية ، واذا لم ينصفوك — ولا أظنهم الا منصفيك — فقد أنصفك ذلك العالم الذى يرى أنك لم ترتكب ما ارتكبته بغية الاجرام ولكن باعتقاد أنك تخدم بلادك ، وسواء وافق اعتقادك الحقيقة أو خالفها فتلك مسألة سيحكم التاريخ فيها . وان هنالك حقيقة عرفها قضاتك وشهد بها الناس وهى أنك لست مجرما سفاكا للدماء ، ولا فوضويا من مبادئه الفتك ببنى جنسه ، ولا متعصبا دينيا خلقه كراهية من يدين بغير دينه . انما أنت مغرم ببلادك ، هائم بوطنك ، فليكن مصيرك أعماق السجن أو جدران المستشفى فان

صورتك فى البعد والقرب مرسومة على قلوب أهلك وأصدقائك • وتقبل حكم قضائك باطمئنان واذهب الى مقرك بأمان •

مرافعــــة

حضرة الأستاذ ابراهيم الهلباوى بك

بعد أن ترافع الأستاذ الهلباوى بك فى القضية وبين الظروف التى ارتكب فيها الحادث وحالة المتهم العصبية ختم مرافعته بالكلمة الآتية :

خدمت نحو الخمسة والعشرين عاما محاميا ، ولم يخطر ببـــالى يوما ان أسال أو أقرأ سبب اختيار الرداء الأسود حلة رسمية للمحامى الذى يتشرف بالدفاع بين يدى القضـــاء ، ولا سبب انتخـــاب اللون الأخضر للوسام الذى تزان به صدور من عهد اليهم اصـــدار الأحكام النهائيـــة •

أما الآن وقـــد أبعدت عن قلبى هذه القضية كل راحة ، وجعلتنى مرآة لتلك القلوب المتفطرة كأم المتهم وشقيقته وباقى أهله ، قلت ان كانمختار هذهالألوان أراد باللون الأسود رمز الحداد والمصائبللمحامى الذى يمثل القـــائم هو بالدفاع عنه ، وباللون الأخضر الذى يتحلى به صـــدر القاضى ، الرمز الى الطاووس ذى الريش الأخضر وهو مثـــال ملائكة الرحمة ، فنعم الاختيار •

كأننا نحن ، هنـــا فى هذه القاعة ، أمام أولئك القضـــاة المشبهين بملائكة الرحمة على ســـطح هـــذه الأرض ، نقوم — على نوع ما — بمأمورية شبيهة بمأمورية أولئك الأحبـــار فى هياكلهم الذين اتخـــذوا مثلنـــا ثياب الحداد وهم يتضرعون الى مبدع السموات والأرض بأن يفيض على الأرواح الذاهبـــة الى دار الخلود سحب رحمته وغفرانه•

ونحن هنا نقول لكم انكم تذكرون أنه ليس دائما بمقدور لهذا الانسان الضعيف أن يحمى نفسه من الخطر والزلل، وأن يعيش معيشة الملائكة، فتقبلوا دعاءنا فى طلب الرحمة للأحيـاء كما يتقبلها من أقامكم حكما فى عباده ، والذى علمنا أنه كما أن من صـفاته العـدل فان من صـفاته الرحمة ، وعلمنا فوق هذا ان الرحمة فوق العدل .

الآن لى كلمتان أوجههما الى المتهم بين يدى القاضى : الأولى أنى اذا كنت قاسيا عليه فى نعتـه فلأنى خاضع لقانون ليس دائما — من سوء البخت — ملتئما فى أحكامه مع ما توصى به الذمة والضمير ، لأنه مضطر فى أحوال كثيرة — رعاية لسلامة المجتمع البشرى وصيانته — أن ينظر نظرا آخر فى تعريف الحل والحرام ، ونحن المحـامين أحق النـاس بالأدب والخضوع لهذا القانون . فاذا قبـل الدفاع عذرك أيها المتهم وعرضـه على قاضيك فعليـك أنت أيضـا أن تتقبل قبولا حسنا عذر الدفاع فيما خالفك فيـه من عقائدك السياسية . الثانية أنى اذا أنزلتك منزلة المجرمين العاديين وطلبت لك الرحمة والغفران ، فلأن ذلك واجب أيضا يقتضـيه الدفاع . ولكن اذا أبت نفسك أن تعيش بين السلاسل والأغلال ، وأن تعيش معاملا معاملة الأشـقياء وقطاع الطريق فارفع نفسك عن هـذا السبيل ، واقبـل نبـال الموت بقلب البواسل ، فالموت آت لاراد له ان لم يكن اليوم فغدا . اذهب الى لقاء الله الذى لا يرتبط الا بعدالته المجردة عن الظروف والزمان والمكان ، اذهب مودعا منـا بالقلوب والعبرات . اذهب فقـد يكون فى موتـك بقضاء البشر عظة لأمتك أكثر من حياتك . **اذهب فان قلوب العباد اذا ضاقت رحمتها عليك فرحمة الله واسعة .**

— ٢ —

مرافعـــة

حضرة صاحب السعادة عبد الخالق ثروت باشا

النــائب العمومى

لدى المحــاكم الأهليــة

في قضية المؤامرة نمرة ٩١ جنايات سائرة الأزبكية سنة ١٩١٢
المتهم فيها امام واكد ومحمود طاهر العربى ومحمد عبد السلام
في دور أغسطس سنة ١٩١٢

ان أول كلمة أفتتح بها مرافعتى اليوم هى حمـــد الله على وقاية البلاد من نكبة لم يشهد التاريخ مثلها .

امتدت منذ عامين يد أثيمة أودت بحياة كبير الوزارة المصرية اذ ذاك فأصـــابت بموته كبد الأمة المصرية فتناجزت عناصرها ، وتنافرت قلوبها ، وتمثلت فى الأقطار — بعد أن كانت مثال الهدو والطمأنينة — أمة هائجة مائجة ليس لأحد بينها اطمئنان على نفس ولا مال .

بلاء عظيم وخطب كبير ! ما كانت البـــلاد لتخلص من نتائجـــه المشئومة ، وعواقبه السيئة ، لولا ما أتاح الله لها من أمير رحيم برعاياه، محب لشعبه ، أخــذ بحكمتـــه وعالى مقـــدرته يعمل بمعونة رجالـــه ومشيريه على تقويم ما كاد ينقض من دعائم ســـعادة البلاد ، وتجديد ما غشى سمعتها من السوء ، ومداواة ما أصابها من الانثلام .

بينما كان سيد البلاد حفظه الله يعمل على مداواة هـــذه الأدواء ليل نهـــار لا يعتريه فى ذلك ملل ، ولا تثنيـــه عنـــه مشقة ولا تعب ، حتى أخذت الأمة بفضل تلك الأجهـــاد الشريفـــة تتنسم نسيم الاتفاق

بعد الانشقاق ، والالتئام بعد الانقسام ، وأخذت بشائر الأعمال تبعث فى النفوس الآمال بتحسين الحال والاستقبال ، وأضحت الأمة تنعم بريق اليسر بعد العسر ، والفرج بعد الشدة كانت ابان ذلك تختمر من وراء ستار عزائم شر وخبث ، من ورائها كبير البلايا والمصائب .

نعم كانت هناك فئة من الأغرار المفتونين طاشت أحلامهم ، وعميت بصائرهم وقلوبهم ، وخبثت نفوسهم فلم يروا من النور الا ظلاما ، ومن اليسر الا عسرا ، ومن الخير الا شرا ، ومن النظام الا ظلما ، ومن وجوب المحافظة على القانون الا استعبادا ورقا .

فئة عطلت عن التربية الصحيحة ، وتسممت عقولهم بشر المبادىء فلم يروا للبلاد — وهى فى طمأنينتها سائرة فى طريق سعادتها — خيرا من اراقة الدماء فيها أنهارا ، والايذاء بنفوس عالية غالية تدأب أبدا لخير أمتهم البريئة مما كانوا يفعلون .

ألم يروا خيرا من قتل كبار البلاد المخلصين لها ، خيانة وجبنا ، واغتيال الأرواح الطاهرة المطمئنة ، خلسة وخسة . هؤلاء هم أولئك المتهمون الماثلون أمامكم اليوم ليلقوا جزاء شرورهم ، وسوء ماكانوا يدبرون ، وان فى تاريخهم لعبرة .

ثم أخذ سعادة النائب العام يتكلم عن تاريخ حياة المتهمين وأخلاقهم وشعورهم نحو حكومة ذلك الوقت ، مستشهدا على ذلك بما كان يكتبه المتهمون . ثم أخذ فى سرد وقائع الدعوى وتكلم عن التطبيق القانونى ثم ختم مرافعته بما يأتى :

الآن يا حضرات المستشارين ، وقد قمت بواجبى فى هذه القضية من شرح أدوارها وتفصيل وقائعها وبيان أدلتها ، لم يبق الا كلمة أوجهها اليكم خصيصا أنادى بها فيكم الحكمة والنظر البعيد .

أنادي الحكمة والنظر البعيد ولا أنسى أن فيكم معهمـــا الرحمـــة والعـــدل ٠

كان لنجاة البـــلاد من كبرى الكوارث هزة حبور وضجة حمدا لله على دفعهـــا ٠

ولكن عتم هذا الشعور ما أدركه الحكماء منا أن الداء الذى كنا نأمل أن أولى جراثيمه قـــد أتى عليها القضاء العدل من عامين ، قد ولد جراثيم أخرى هى فى الخطر مع الأولى سواء ٠

أدرك الحكماء منا ذلك ، وأدركه بعدهم الناس عامة فملئوا ذعرا ورعبا ، وحق لهم أن يذعروا من أن تصبح الأرواح الغالية تحت رحمة أغرار لا عقل ولا تربية ٠

ان أشد ما ينتاب بلادا من الفوضى والاضطراب أو يصاب حكامها وساســتها فى طمــأنينتهم على أرواحهم من جـــراء قيامهم بالواجب المفروض عليهم ٠

أنى أخشى أن أزيد رعب الناس ان قلت ان الداء الذى نخشـــاه هو ذلك الخطر الجلل ، ولكن خير لنـــا أن نعلم من أنفسنا الآن ماقـــد نأسف على فوات معرفته يوم لاينفع الندم ٠

نعم خير لنا أن نعرف مقدار هذا الخطر الداهم ، فما أشد الحالة التى يصبح فيهـــا الانسان رهين حكم متهوس قد يرى فى كلمة أو عمل، همـــا خير ما تقضيه الظروف وتمليه الحكمة الصحيحة والعقل الراجح، مثار للقتل ومسوغا للاعدام ٠

اننـــا أمام تيـــار جارف ان لم نقف فى سبيله نزل بعقول سفهاء شبابنا الى منزلق فيـــه بلاء البلاد ٠

لقد بدأ هؤلاء الشبان يفكرون فى استباحة القتل واراقة الدماء تخلصا مما صور حمقهم من الشقاء قبل أن يفكروا فى الخلاص من جهالتهم التى هم فيها يعمهون .

ان هذه الأفكار الطائشة الخطرة كالسلاح فى يد المجنون الهائج، ان لم يعجل بنزعه منه قوة واقتدارا كانت العاقبة وبالا .

وعلى من هذا الواجب الخطير الشريف ؟

انه عليكم الآن يا حضرات المستشارين .

امحو هذه الأفكار الخطرة ، وانزعوا هذا السلاح القاتل .

انزعوه من أيدى هؤلاء المفتونين قبل أن يصيب البلاد شره المستطير .

انزعوه بحكم ترضاه الحكمة وأصالة الرأى .

انكم بذلك لاتكسفون الرحمة والعدل ، بلتزيدونهما رواء وجمالا .

أليس من الرحمة والعدل أن تحموا أرواح الأبرياء ؟

أليس من الرحمة والعدل أن تبعثوا الطمأنينة فى القلوب الواجفة؟

أليس من الرحمة والعدل أن ترحموا صغارا كالغصون الرطبة أوشكت أن تلتوى على الشر تقليدا أعمى للمتهمين وأمثالهم ؟

قد أجهدت نفسى فى هذه القضية حتى أطمأن ضميرى واقتنع بأن من وضع القانون يده عليهم هم الجناة العاتون ، فقدمتهم للقضاء العادل لينالوا جزاء شرورهم وسوء ماكانوا يدبرون .

قدمتهم وأنا راج أن ما اقتنعت به بحق فى اجرامهم ستقتنع ضمائركم بعد الروية والنظر الصحيح .

قدمتهم وأنا مؤمل أنكم ستقفون حيـال شرور كثيرة وتردون عن البلاد بؤسا وشقاء كان المتهمون مجلبة له .

أنتم يا حضرات المستشارين من خيرة أبناء البلاد وأعرف الناس بأحوالنا وأدوائنا ، فزنوا نتائج ما كان المتهمون مقدمين عليه .

زنوا نتـائج ذلك ونتائج حكم حكيم يمحو هذا السوء ، ويقينـا شر ماكاد يدهمنا ، وما نحن منه موجسون .

زنوا ذلك وعلموا صغار الأحلام والطائشين أن اللعب بالنار فيـه أذى وآلام وحرق وسقام .

ان هى الا كلمة تنطقون بها ترجو الأمة أن يكون من ورائها عبرة كبرى لأمثال هؤلاء المتهمين فلا تقوم لهم من بعدها قائمة .

قد كان شديدا علينـا يوم أن جر على البلاد ما فعله السفهاء من ضرورة سن قانون الاتفاقات الجنائية . ذلك القانون الاستثنائى الذى فى وجوده مسبة على أمن الديار ، وحجة قائمة على أننا دائمـا تحت خطر الاضطراب والهياج .

كان ذلك علينـا يوما عصيبا ، لن يهون شـقاءه ويخفف من رزئه الا الأمل فى ألا يشهد المستقبل ذلك اليوم الذى تمس فيه الحاجة الى العمل به .

كم كنا نؤمل ألا يأتى ذلك اليوم الكريه ، ولكنه أتى على أشـنع مانكره وأبشع ما كنا نخاف .

أتى ذلك اليوم العصيب ، وتوافق هؤلاء الأشرار على قتل رؤوس البلاد وحماتها ، وهل بعد ذلك من مصيبة ؟

توافقوا على ارتكاب هذه الجريمة الهائلة التى لا يمكن أن ينطبق هاذ القانون على جريمة أفظع منها •

أن كان شديدا علينا أن يوجد بين قوانينا مثل هذا القانون فاننـــا ــ بعد أن قدر علينـــا أن تقع هذه الجريمة فى ديارنا ــ لا مناص لنبـــا من الاعتراف الآن بأنه السلاح الوحيد الذى نستأصل به اليوم هـــذه الجرثومة الفاسدة •

نعم هو سلاحنا الوحيد فى ذلك قد وضعناه فى أيديكم نسألكم أن تصرعوا به هذا الشر الذى بدت نواجذه وكشر عن أنيابه •

أصرعوه بأشد مافى القانون الذى بيدكم •

ليس فى ذلك من قسوة ولا تحيف فمـــا أشـــد مانحن فيـــه من الظروف !!

— ٣ —

قضية اغتيال المأسوف عليه السير لى ستاك باشا سردار الجيش المصرى والمتهم فيها عبد الفتاح عنايت وآخرون أمام محكمة جنايات مصر المشكلة برياسة حضرة صاحب السعادة أحمد عرفان باشا وعضوية كل من المستر كرشو ومحمد مظهر بك
فى دور شهر مايو سنة ١٩٢٥

مرافعة

حضرة صاحب السعادة محمد طاهر نور باشا
النائب العمومى

قبل أن أشرح لحضراتكم وقائع هذه الحادثة المؤلمة التى لم يشهد تاريخ الحوادث الجنائية فى مصر مثلها ، أكرر أسف الأمة على مصابها فى قائد جيشها الذى قتل من أيد أثيمة وهو قائم بخدمة مصر التى لاتنسى له خدمته كما لا تنسى جميل كل من أحسن عملا فيها .

نعم قد جزعت الأمة لمصابها فى قائد جيشها ، لجناية ارتكبها فئة من الأغرار المفتونين الذين طاشت أحلامهم ، وعميت بصائرهم فخرجوا على ارادة أمتهم ، وانتحلوا لأنفسهم سلطة القضاء فى مهام لم يناطوا بها . جزعت لهذه الحادثة جزعا بادى الأثر ، فقد أظهرت مصر من أقصائها الى أقصائها اشمئزازا ونفورا أوحت بهما عاطفة صميمة كاملة فى نفوس هذا الشعب الذى يأبى أن يحقق آماله الشريفة الا بالوسائل المشروعة .

استفظعت الأمة هذا الجرم واستنكرته ، واشترك فى هذا

الاستنكار والاستفظاع الصغير والكبير ، وعلى رأس الجميع مولانا المعظم جلالة الملك حفظه الله •

ان مصر أم الحضارة والمدنية قديما ، والتى لا تنكر منزلتها فى عالم العلم والحضارة حديثا •

مصر التى يضرب بحسن ضيافتها الأمثال وشعارها (أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا) •

مصر ، مثال الهدوء والطمأنينة ، قد تمثلت فى البلاد الأخرى بسبب هذه الكارثة والحوادث السابقة عليها أمة هائجة ليس لأحد فيها اطمئنان على نفس أو مال ، حيث قال عنها بعض الصحف الأجنبية : « ان من الصعب الاعتقاد بأن أى أسف أو اعتذار أو تعويض يعوض عن اعتداء من شأنه أن ينزل مقام مصر الدولى الى منزلة أمة نصف متمدينة ، فانه ليس من المحتمل أن تنظر الأمم الأخرى ذات المصالح فى مصر نظرة التساهل الى هذا الاعتداء » • وألقت صحف أخرى تبعة هذه الجناية على الشعب المصرى الذى تأصلت فى نفسه العقيدة الدينية وهى تحرم قتل النفس وتنهى عنه ، والذى يعرف حق المعرفة أن وسائل العنف والاجرام أكبر جناية على الوطن •

ماخلت بلاد من المغتالين ومن حوادث الاغتيال • وقد وقع الاجرام على المصريين ذاتهم قبل أن يقع على سواهم ، وكنا نأمل أن أولى جراثيمه قد يأتى عليها القضاء العادل ، ولكنها مع الأسف الشديد قد ولدت جراثيم أخرى أشد خطرا وأعظم هولا جرت على البلاد شرورا كثيرة ، أضرت بسمعتها ، وأورثتها من المشكلات والخسائر مايقتضى اضناء العقول واجهاد القوى زمانا طويلا لتلافيه ودرء عواقبه •

هذه الجراثيم الخطرة التى تولدت عن الجرثومة الأولى كان سببها

افلات بعض الجناة من يد العدالة ، فكانوا حربا على البــلاد هم ومن كانوا على شاكلتهم من المتهوسين ضعيفى النفوس أمثالهم ، فاختاروا طريقا لايجدون فى مصر من يوافقهم عليها أو يجاريهم فيها .

انحدرت هذه النفوس الضعيفة فى مهاوى الجريمة والاثم بسبب تلبد الجو السياسى ، ورأوا أن وسائل العنفوالاجرام بالخيانة والجبن تخدم البلاد وتنيلها أمنيتهــا ، وفاتهم أن العنف على مختلف صــوره وأشكاله لا يمكن أن يجر على مصر وقضيتها الا الضرر والفساد ، ولم نسمع فى تاريخ أى أمة — حالها كحالنا — أن هذه الوسائل الاجرامية أنالتها أمنيتها .

فاتهم أن أشد ماينتاب البلاد من الفوضى والاضطراب أن يصبح الأمر فيهــا بيــد فئــة من المفتونين اختلسوا لأنفسهم الحق فى اقامة أنفسهم مقام الحكم والمنفذ ، فى أمور لا يكون الحكم فيهــا الا للأمة بأسرهــا .

فاتهم أن بلادا يصبح فيها الانسان رهين حكم المتهوسين لاتقوم ولن تقوم لها قائمة حتى يترك ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

فات هؤلاء الأغرار أن الاستقلال لايكفى لصوننا ورفع مقامنا ، بل يجب أن نعرف كيف نصون استغلالنا . فبنشر التعليم واعلاء شأن الأخلاق والفضائل ، وتوثيق عرى الاتحاد بين أبناء الأمة ، نتمكن من صيانة استقلالنا ونتبوأ المكان اللائق بنا بين الأمم المتمدينة .

وبعد أن شرح النائب العمومى وقائع الدعوى ، وأتى على تاريخ حياة المتهمين ، وكيف توصل المحققون الى معرفتهم ، والأدلة التىقامت عليهم قال فى ختام مرافعته :

قد شرحت لحضراتكم أدوار هذه القضية ، وفصلت وقائعها ، وقد

أجهدت نفسى فيها حرصا على العدل وعلى سمعة البلاد كما قدمت •

وقد وضعت العدالة يدها على من عاثوا فى الأرض فسادا • عبثوا بالقانون لعواطف شريرة غلت فى صدورهم فأصمتهم عن صوت العقل، وأعمتهم عن نور الحق •

لقد اطمأن ضميرى واقتنع بأن من قدمتهم للقضاء العادل لينالوا جزاء شرورهم هم الجناة السفاكون ، وأرجو أن ما اقتنعت به ، بحق، سيقنع ضمائركم فتمحون هذه الأخطار الخطرة ، وتردون عن البـــلاد بؤسا وشقاء كان المتهمون مجلبة له •

نحن الآن ، يا حضرات المستشارين ، أمام خطر داهم ان لم نقف فى سبيله سرنا الى الهاوية •

فعلى حضراتـــكم أولا ، ثم على كل مصرى خبر الحيـــاة ، وعلى الأخص قادة الأفكار فيهـــا ، واجب خطـــير شريف ، ان الامة المصرية تمقت بطبيعتها الاعتداء وقتل النفس التى حرم الله قتلها ، حانقة أشد الحنق على هذه الفئة الضالة التى اتخذت سفك الدماء صناعة ووسيلة، ونرجو أن يكون من وراء حكمكم العـــادل عبرة وذكرى لأمثـــال هؤلاء المتهمين حتى لايعود صغار الأحلام والطائشون الى اللعب بالنـــار • واكن هذا العلاج وحده لايكفى لاستئصال المرض من أساسه •

نعم ان قصاص القضـــاء العادل سيعيد الى البلاد حظـــا وافرا من السكينة يمكنها من أن تسير فى طريق التقدم والارتقاء — ذلك الطريق الطويل الكثير العثرات ، فاذا ماسرنا بحكمة وأصالة رأى قطعنا الطريق فى وقت قصير قضى سوانا فى اجتيـــازه وقطعه قرونا • والحكمة تقضى بالقضاء على هـــذا المرض الذى وان كان محصورا الآن فى فئـــة من الأغرار ضعيفى العقول الا أنه يخشى أن تسرى عـــدواه الى شـــبابنا

الناهض الذى تفخر به البلاد ، ولها فيه رجاء عظيم ، يخشى أن تسرى اليه هذه العدوى فتلتوى هذه الغصون الرطبة على الشر . وهناك الطامة الكبرى .

وها هى نصيحة جلالة المليك المحبوب الساهر على سعادة بلاده والعامل على اعلاء شأنها مسطورة فى خطاب العرش يجب أن تكون منقوشة فى صدر كل مصر لما فيها من العلاج الشافى .

الآن ، يا حضرات المستشارين ، قد قمت بواجبى فى هذه القضية فأطلب منكم أن تستأصلوا اليوم هذه الجرثومة الفاسدة بأشد ماق القانون ، فليس فى ذلك من قسوة اذ نحن فى ظروف شديدة توجب ذلك .

دفاع

حضرة الأستاذ الهلباوى بك عن شفيق منصور

قبلنا هذه المأمورية القاسية ، مأمورية أن نكون لسان حال هؤلاء التعساء ، ونحن نعتقد أننا أمام محكمة تصم آذانها عن كل ماهو خارج عن موضوع الدعوى . تقدر ظروف الاتهام وظروف الحادث والأدلة كما تقدرها فى القضايا الأخرى . هذا رجاء زاد تحققا عندما أعلن سعادة الرئيس فى جلسة أول أمس أن هذه المحكمة لا تعنى بشىء من السياسة وانها تقصر نظرها على المسائل العادية كما تنظر الى بقية القضايا . زدنا ايمانا بأنها تحقق العدل فتعاقب بقدر الجرم ، وتبرىء من تعتقد فيهم البراءة .

نعتقد هذا . ولكن ، ياحضرات المستشارين ، الظروف التى أثرت فى هذه القضية ، والنتائج التعسة التى لحقت البلاد ، من المستحيل

— ونحن نؤدى هذه المأمورية — ألا نتأثر بهـا • ولكن هذا التأثر يجب أن يقف عند حـد ، هو ما يعنى القاضى عندما يقدر أسباب الجريمة ، وعندما يقدر النتـائج التى ترتبت على الجريمة ، وعنـدما يقدر حالة المتهم وتربيته • تلك هى الأركان الأربعة التىنعتقد أنها ستكون بحسب القانون أساس بحثنا فنقف عندها •

سعادة النائب العام بدأ مرافعته بأن وصف شفيق منصـور بأنه زعيم العصـابة التى ارتكبت هذه الجريمة • ونحن مع اعترافنا بحسن تقـديره ، وبالنتـائج الباهرة التى وفق اليها فى تحقيق هذه القضية نستسمحه فى أننا نخالفه فى هذا •

ثم أخذ حضرته يشرح موقف شفيق منصور من التهمة كشريك فى الجناية ويتكلم عن التطبيق القانونى بالنسبة له • ثم قال :

عرضت على حضراتكم أنكم الآن تعالجون مرضى أصيبوا بجنون الوطنيـة • وأريد أن أتكلم عن شيوع هذه الجرائم ، وهو يدعو أحيانا الى التشدد فى العقوبة ، وهو يدعو أحيانا الى التلطف فيها •

فالجريمة التى وقعت والتى أخذ بعض الجرائد الانجليزية ينـدد بها علينا ، والتى أنتجت الانذار البريطـانى الذى يقول انا لا نستحق من أجلها أن نكون بين الأمم المتحضرة ، هـذه الجريمـة من واردات أوروبا •

ان أوروبا التى تمن علينا فى كثير من الأحيان بأن مانحن فيه من حضارة هو من ناحيتها ، يجب أن تقبل أيضا ، الى حد ما ، أن الجرم السياسى هو من ناحيتها أيضا • فلم يكن الجرم السياسى موطنه هذه البلاد أبدا ، بل لقـد أتى مرض القتل السياسى من الغرب مع مرض الزهرى تماما • يجب أن تقبل أوروبا هذا أيضا ، فهى ملوثة فى جميع أرجائها بمثل هذه الجرائم ، وبأفظع منها •

أكبر صيحة نرفعها فى وجه معلمتنـــا أوروبا أن ٩٠ فى المائة ممن جروا فى هذا السبيل هم الذين طوحت بهم المقادير وتعلموا فى ربوعها. تلك جناية خلقية ، لا غربية ولا شرقية .

نريد استئصال هذه الجراثيم . القاضى مهما كان لديه من الوسائل لايستطيع القضاء على الجرائم . أحسن علاج أن تعيش الأمم خاضعة للنظام . اعدام غلامين أو خمسة أو ستة مثل هؤلاء السفهاء لم يعمل فينا على اصـــلاح الداء . انمــا يرجع الداء الى أن الأمم ينبغى أن تعيش فيما بينها محترمة لقواعد النظام .

فمعظم العلماء يميلون الآن ، أيضا فى أوروبا التى نتعلم عنهــا ، الى نبذ عقوبة الاعدام . فاليكم ، ولو أنى أمام محكمة فى أمة صغيرة غير معروف للغرب أنهــا تعطى حكما وأمثلة العدل — ولكن ليس للعدل وطن ولا للحكمة دار — اذا استطعت أن أقــدم بين يديكم أن هــذه العقــوبة علاج خطير تنفر منــه النفس الا فى الأوقات الخطرة فانى أستطيع أن أقول صــونوا الهيئة الاجتماعية من خطر هؤلاء السفهاء. انتفعوا من قوة هؤلاء الشبان فقد ينفعون اذا تابوا ، وقــد تصــالح المقــادير من أمرهم . وخصوصا وأن عقوبة الجرائم السياسية مبنية دائما على خطأ فى التقدير . هؤلاء البغاة يذكرون أنهم ارتكبوا الجريمة بحسن نيــة . هم كالمجنون الذى يتوهم خوفه من البرىء فيقتله . فى عرفهم هو قصــد الخير . أنا لا أطلب منكم أن تحترموا هذا ، وانما وأنتم تزنون قــدر العقوبة عليكم أن تزنوها بقدر فكر الجانى . أعفى القانون القاصر من عقوبة الاعدام لأنه عرف أنه لايقدر تمام التقــدير الظروف كلها .

هم مرضى . عرضوا على طبيب ينظر فى أمرهم دون غل ولا حقد. أنتم تعالجون مرضى الأرواح كما يعالج الطبيب مرضى الأجسام .

ومن أجل هذا أستطيع أن أقول ان هـؤلاء المجرمين يستحقون عـدلكم ٠

هذه الدار تمثل رحمة الله فى الأرض فأطلبها منكم لهؤلاء الأغرار٠

هناك سبب أتضرع اليكم أيضا بأن يكون سبب رحمـة ٠ هـذه الجريمة كان يرمى خطرها الى ايذاء العـلاقة بين مصر وانجلترا فكان مالا بد منه ، أن تتدخل السياسة الانجليزية ٠ وقد تدخلت ، واحتملت مصر طرا أن تكفر عن هـذه الجريمة ٠ دفعت تعويضا لا يقل عن نصف مليون جنيه ٠ فهؤلاء الأغرار الأشرار حملونا كل هذا المصـاب ٠ لهم الحق أن يقولوا لكم ان سعادة النائب العام قال (ولكم فى القصـاص حياة يا أولى الألباب) لكن حكمة الله يجب ألا تنسى ٠

اتفقت كلمة الأئمة على أن دفع الدية ينفى توقيع العقوبة ٠ وقـد دفعت مصر الدية فأرجو أن تدخلوا ذلك فى اعتباركم ٠

فأرجو أن يعرف الانجليز أنا أمة تعرف الجميل وتعرف الرحمـة فنرجو ألا يؤاخذونا بما فعل السفهاء منا ٠

قيل لكم أمس ان هذه هى القضية الأولى من نوعها التى تعرض على القضاء المصرى ، وأنا أعتقد أن عودة القضـاء فيهـا الى نظامه العادى قـد جعلتها بين أيدى قضاة ممن تتشرف بهم الأمم فيما يتعلق بصيانة المصالح ، فأؤكد لكم أن الطمأنينة قد عادت فى كثير من البلاد ٠

لا أقول ان الانجليز غير عادلين ففخر الأمة الانجليزية عدالتها ٠ لكن اذا اعتز المصرى بعودة قضاته الى النظر فى أموره كلها فانما هذا ترضية لشعوره واحساسه بالعبء الذى يلقى على عاتقه ٠

ياحضرات المستشارين : أهل المتهمين جميعا يتقدمون لكم طالبين الرحمة مع اعترافهم بما حدث ٠

دفـــاع

حضرة الأستاذ وهيب دوس عن شفيق منصور

يا حضرات المستشارين :

فرض القانون — فيما فرض ضمانا لحسن سياسة القضاء واقامة العدل بين الناس — أن لا يتقدم متهم أمام هيكل قضـائكم الجنائى دون أن يرافقه فى هـذه المرحلة الأليمة محـام يتولى الدفاع عنه — مهام يشترك معكم فى شرف خدمة القانون ويرتفع عن أوساط المتهمين الى الوسط الذى يفهم فيـه معنى العدالة كما تفهمونه أنتم ، ويقـدر أغراض الشارع التى وكل اليكم تحقيقها كما تقدرونها ، فيعرض عليكم المتهم كما يجب أن يعرض — بريئا أو مذنبا — **ويصور لكم العواطف التى اجتاحت نفسه وعصفت بوجـدانه فافقـدته أسمى مايتحلى به الانسان فى انسانيته ، وأرقى ما يطمح فى السمو اليه من فضيلة الرفق والتضحية والتسامح التى لو سادت لمـا اجترم مجـرم جرمه ، ولمـا قامت الحاجة لنظام القضاء .**

أوجب القانون هـذا ، مع افتراض أن يكون بين هؤلاء المتهمين معترف أو متلبس بجريمته دون أن يحرم هـذا الفـريق من هـذه المساعدة ، أو يقلل من أهميتها بالنسبة له ، فكان قضاؤكم باطلا اذا لم يسترشد بدفاع المحامين الذين أصبحوا ركنا أساسيا فىالقضاء الجنائى تسعى الى تحقيق قيامه نفس السلطة التى تقيم الدعوى اذا قصر المتهم فى حق نفسه فلم يسع اليه أو حتى اذا رفضه هو رفضا باتا .

ألم يكن هذا الواجب عبثا ، ياحضرات المستشارين ، لأن المهمة التى شرفنا الشارع بتقليدنا اياها — مهمة الدفاع عنالمتهمين أمامكم — لاتقوى النفوس البشرية أن تجمع بينها وبين مهمة القضـاء . فنفس

القاضى وهو يجلس للقضاء عرضة لتنازع العوامل المختلفة ، والأهواء المتباينـــة • بحكم مركزه يتبين مصاب المجنى عليه ، فيتصور حال من أصابهم الجانى بجنايتـــه ليقدر مبلغ أثرها فيهم ليسترشـــد بذلك فى حكمه • وعليه أيضا أن يتبين نفسية المتهم ، وما تفاعل فى نفســـه من الأغراض والشهوات ، ومبلغ أثرها فى حسن تقـــديره لما أقدم عليه • على القاضى أن يحيط بهذا وذاك وهو بغير شك عرضة للخطأ فى التقدير بين مختلف هـــذه الأهواء والشهوات • ومن هنا وجدت الحاجـــة الى من يقيم الدعوى ومن يدافع فيها ، ليتفرغ القاضى الى وزن مايعرض عليه دون اجهاد فى البحث عما يجب أن يعرض •

لهذا كان شرف المحاماة عظيما بهذا المكان الأسمى الذي حلت فيه تحت هذا النظام ، ولهذا جئنا ندافع أمامكم عن هؤلاء المتهمين تقديرا منا لهذا الشرف رغم ما أرجف به الكثيرون من تشويه جمال هذا الموقف الذى نقفه كمحامين نرتدى هـــذا الرداء ونخلع فيـــه عن أنفســـنا كل رداء آخر قد يعطل من جهودنا فيما لو أعرناه التفاتنـــا وجارينا هؤلاء المرجفين فى اعارته اعتبارنا •

يظن العامة ، ياحضرات المستشارين ، أن اعتراف المتهم باجترام الجرم يخفف عبء القضـــاء على القـــاضى ويهون له سبيل الحكم في الدعوى •

لقد ضل العامة فى زعمهم • وأمامكم الفرصـــة ســـانحة لخـــدمة العدالة بالقضاء على هذه الضلالة •

اذا أنكر المتهم وأقيمت عليه البينـــة كان عمل القاضي هينـــا فهو لا يتقيد الا بالعمل المادى ، وهذا قد أقيم عليه الدليل فـــلا ينبغى الا توقيع العقاب فيوقعه القاضى وهـــو قرير العين ، طيب النفس للخدمة التى أداها للمجتمع •

أما المتهم المعترف بجريمته فيتدم لقاضـيه وسريرته على كفيـه يبسطها أمامه مطالبـا اياه بأن يحل نفسه محله ، ويتصورها محوطة بظروفه ، وأن ينزل الى دركه فى الفهم وفى مبلغ أثر الحوادث فيه — يطالبه بكل هذا لأن القضاء لا يقوم الا بتفهم هذا جميعه . ومن أجل ذلك ترك لكم ذلك المدى الواسع بين أقصى العقوبة وأدناها . والمفروض فى جميع الأحوال أن الفعل المادى واحد ، ولا يجىء الفرق فى الحكم الا لاختلاف مايفهمه القاضى من جميع تلك العناصر المختلفة والأهواء المتباينـة .

لهذا كانت مأموريتكم ، يا حضرات المستشـارين ، فى حال المتهم المعترف أشق وأدق منها فى أى ظرف آخر . حتى فى حالة الجريمة التى يعتذر المتهم عنهـا باحدى شهوات النفس الأولية كالانتقـام والغيرة والسرقة للفاقة والغضب لعدم ضبط العواطف .

فاذا كان هذا هو حالكم فى تبين تلك الشهوات الأولية فكم يكون واجبكم أشق اذا كانت مقدمات الجريمة تشتبك فيها العواطف وتأخذ فيها الشهوات بعضها بأعناق بعض ، وتتناقض فيهـا الحالة النفسية للمتهم الواحد تناقضا لايتفق مع النتيجة على ظاهر الحال ، ولا يمكن فهمه الا بالجهد والعنت .

لهذا كان اشفاقى عظيما على نفسى ، وعلى حضرات زملائى الذين كلفوا بالدفاع فى هذه الدعوى عن المعترفين من المتهمين ، وكان اشفاقى أعظم على حضراتكم ، وفى أعناقكم مسئولية الحكم وعليكم وحـدكم تبعته ، وضمائركم بين ضلوعكم تستحثكم لتلمس قبس النور فى هـذا الظلام الحالك فلا تكادون تتبعونه حتى يختفى . وبدون هذا القبس لاتملكون الحكم ولا تذوقون طعم الراحة اذا أنتم حكمتم .

حضرات المستشارين : ستخلون الى أنفسكم اذا ما فرغنـا نحن

من القيـــام بواجبنا ، وستعرضون أمام خيالكم الجريمة بما أحاط بها من ظروف مفجعة ، وما ترتب عليها من نتائج بعيدة المدى قد يكون من أثرها تعطيل تقــدم البلد أحقابا أو أجيالا . ستعرضون أمام خيالكم المجنى عليه عائدا من بلاده بعد أن قضى فيها شهور راحتـــه ، وتاركا وراءه اخوانا وخلانا على أمل لقائهم قريبا — عائـــدا ونفســـه مملوءة بالآمال فى المستقبل وقلبـــه مفعم بالمشروعات التى ينوى أن يخـــدم بهـــا وطنـــه .

وسيأتى حتما فى هذه الصـــورة خيال زوج ذلك الشهيد وفخرها واعتزازها بهذا الذى يمثل لها الرجولة الحقة ، وأملها فى أن يخلد لهـــا من الذكر الطيب ما يشتريه الناس بأرواحهم كاسبين . ستتمثلون هذا جميعـــه وغيره مما يعرض للمفكر عميق التفكير ، وتتصـــورون أن تلك الحياة النـــابضة وذلك الجسم القوى وتلك المواهب والآمال تتهدم فى لحظة واحدة ، فاذا بقـــائد الجيش لا يقوى على الكلام ، واذا بالموت يتسلل اليـــه برغم من أحاط به من أصـــدقاء وأحبـــاب ، واذا بالبرق تتجاوب أسلاكه بخبر الفاجعـــة ، واذا بالرجل المملوء حياة ونشاطـــا طالما ملأ بهما ميادين القتال رهين حفرة تضيق به ويضيق بها .

ياحضرات المستشارين : **اذا ما تعـــاقبت هذه الصـــور المفزعـــة أمامكم فثـــارت نفوسكم للحق ، وهمت بتوقيع العقـــاب على المجرم ، فتذكروا أنكم ورثتم أوليـــاء الدم فى نظام القضاء الحـــديث ، ولكن الارث انتقل اليكم بعد أن تجرد من عاطفة الغضب والانتقام — انتقل اليكم القصاص العدل ، القصاص الذى فيـــه الحياة** . فتذكروا هـــذا ولا تنسوا أن للمســـألة وجهـــا آخر يجب اســـتعراض صـــوره كذلك استعراضا دقيقا قبل أن تقولوا كلمتكم الأخـــيرة ، وبها تتعلق أرواح هؤلاء الأغرار .

ثم أخذ حضرة المحـــامى يترافع فى موضـــوع الدعوى ويشرح

للمحكمة المؤثرات التى دفعت هؤلاء المتهمين على ارتكاب جريمتهم الى أن قال فى ختام مرافعته :

تذكروا يا حضرات المستشـــارين اذا ما وضـــعتم القـــلم على القرطاس وقبل أن يجرى به قضاؤكم أن هؤلاء الشبان قضوا أعواما انغمسوا فيها فى الجريمة دون أن يكون لهم فى ذلك مصلحة .

تذكروا أن لهم عائلات يلبسها حكمكم السواد ، وأمهات وأخوات تخفق قلوبهن حنوا وعطفا ، وتجزع نفوسهن هلعا واشفاقا ، وان لهم عليكم دينـــا لا تملكون سداده اذا حم القضـــاء . خاطروا بأنفسهم وتعرضـــوا للموت قتـــلا أو حكما فى سبيل مصر بحسب معتقـــدهم ، والأعمال بالنيـــات ، وهـــذا دين يشغل ذمة كل مصرى ، عليكم فيـــه نصيبكم ، فلعلكم موفونه فى حكمكم باقالتهم من عثرتهم ، وانكم باذن الله لفاعلون .

مرافعــة النيــابة العمومية

فى قضية الجناية رقم ١٠٤ لسنة ١٩٣٦ الخاصة

بالاغتيــالات السياســية

فى دور شهر أبريل سنة ١٩٣٦

محكمــة جنــايات مصر

المشكلة برياسة المستر كرشو وعضوية حضرات كامل ابراهيم بك

وعلى عزب بك

مرافعـــــة

حضرة صاحب العزة مصطفى حنفى بك

رئيس نيــابة الاستئناف

فى هذه القاعة ، ومن خمس عشرة سنة مضت، وقف حضرة صاحب الدولة عبدالخالق ثروت باشا النائب العمومى لذلك العهد وأحد المجنى عليهم فى قضـــية اليوم ليترافع فى أول اعتداء سياسى حدث فى هــذه البلاد يوم أن أطلق الوردانى رصاصاته على صدر بطرس غالى باشا ... فقال يصف الاجرام السياسى •

(وهنا ذكر حضرة رئيس النيابة العمومية بعض فقرات من مرافعة المرحوم عبــد الخــالق ثروت باشــا فى قضــية مقتل المرحوم بطرس غالى باشـــا) •

بمثل هذه الكلمات البليغة ، والنصائح الغالية التى صـــدرت عن رجل خبر الدهر ، وعرك الأيلم ، خاطب النائب العام قضاته وهى كلمات

ان حققت فى أول اعتــداء سياسى فهى أأحق اليوم بعد أن قضت مصر خمس عشرة سنة تئن من هــذا الداء الوبيل ، وبعد أن تعدد ذلك النوع من الاعتداء حتى أقاق الذين يهمهم أمر هذه البلاد •

ومع أن المحكمة أجابت نداء النــائب العام فقضت باعدام المتهم الا أن هــذا العلاج لم يستأصل الداء تماما • فان كان الوردانى قد أعدم فقد بقى شفيق منصور ومن على شاكلته أحرارا طليقين يقتفون أثره ، ويعملون عمله ، وينشرون مبادئه الى أن انتهى بحادثة السردار تلك الحادثة الأليمة التى فجعت لهــا الأمــة والتى اصــطدمت بآمال مصر ، بل لست مبالغــا ان قلت لكم ان تلك الرصاصات الطائشة التى أطلقها المتهمون على السردار انما هى رصاصات صوبت الى صدر مصر •

وبعد أن أخــذ رئيس النيابة العموميــة فى سرد وقائع الدعوى ذكرا تاريخ الاجرام السياسى فى مصر قال :

حضرات المستشارين :

الآن انتهى واجب مهنتى ، وبقى واجب وطنى • وان كانت هذه المهنة قــد منعتنى فى الماضى أن أدلى برأيى فى هذه المسائل التى أقلقت البال أعواما طوالا ، فان هــذه المهنة نفسها هى التى أوقفتنى اليوم هذا الموقف فأتاحت لى فرصة قلما تسنت مرة أخرى ، فمن الواجب ألا أتركها تمر دون أن أقول كلمة فى سبيل بلادى ، وقد لا أكون فى هــذه الكلمة الا معبرا عن رأيى الخاص دون أن أمثل أحدا •

لقد ظل الاجرام السياسى فى مصر عهدا طويلا بدأ بمقتل المرحوم بطرس غالى باشا وانتهى بمقتل المأسوف عليه السردار وبين الفقيدين ضحايا أخرى سقطوا فى ميدان الشهوات السياسية •

لقد بدأ التحقيق دولة عبد الخالق ثروت باشا وانتهى به ســعادة

طاهر نور باشا وبين النائبين العموميين نواب عموميون آخرون من ذوى العقول الراجحة ، والأفكار الثاقبة • وقد وضعوا نصب أعينهم مصلحة بلادهم فعملوا على ابرائها من هذا الداء الوبيل فبحثوا ودققوا وبذلوا جهودا كبيرة فى هـذا السبيل • فان كانت المجهودات التى ظلت زمنـا طويلا لم تنتج الا اتهام عشرات من الأشخاص فمن العدل أن نقرر هنا أن هؤلاء المتهمين أقلية ضـئيلة بل أقليـة تافهة لا تعبر الا عن رأيها فعليهم وحـدهم أن يحملوا مسئوليـة أعمـالهم ، وعليهم وحدهم أن يحملوا تبعتهـا •

واذا كانت هذه التحقيقات أيضا لم تثبت وجود أية صلة بين هذه الفئة القليلة ، وبين أية هيئة سياسية فمن الانصاف أن نقرر هنـا أن مجموع الأمة برىء من هذا الاجرام •

حضرات المستشارين : قد يكون من حسن حظنا جميعا أن يعرض الأمر برمته على هذه المحكمة وهى أكبر هيئة قضائية مختصـة فى هذه البلاد لتقول كلمتها • وقد تكون الكلمة التى تصـدر منهـا هى أقرب الكلمات الى صدور الأمم المتمدينة •

لقد رأيتم بأعينكم وسمعتم بآذانكم كيف كانت الأمة تتفجع عند وقوع كل حادث ، وكيف كان ينبرى الزعماء الى تقبيح هذه الأعمال ، وبيان ما يلحق البـلاد من جرائها ، فصم المتهمون آذانهم عن سماع أنين مصر ونصائح الزعماء • فكلمة منكم يا حضرات المستشارين قـد تخفف آلاما تحملتها الأمة بصبر ، وتقضى على أراجيف أذيعت عن هذه البلاد بغير حق •

ستحكمون بادانة المتهمين أو ببراءتهم حسـبما تسـتريح اليـه ضمائركم الطاهرة ، ولكنكم ستقضون حتما أن مصر بريئة من الاجرام والمجرمين وستظل سـائرة فى طريقها المشروع نحو غايتهـا المنشودة رافعة راية السلم حتى تتبوأ بين الأمم مركزا يليق بتاريخهـا الخـالد المجيـد •

دفـــاع

حضرة الأستاذ مكرم عبيـد

لقد أثارت هذه القضية بين الناس على تبـاين نزعاتهم وأهوائهم شديد اهتمامهم وكامن عواطفهم ، وهــذا طبيعى لأن القضية سياسية. والسياســة كانت ولا تزال مسرحا لكل عاطفــة ، وسوقا لكل شهوة ، وميزانا لكل ضعف وكل قوة • ولقد نتج عن هــذا الخلط بين السياسة والقانون أن اختلطت فى القضية أسباب الحق بالباطل ، والعدل بالظلم، والصدق بالكذب حتى أصبحت مجمعا لكل تناقض ومضربا لكل مثل •

غير أن القضية قد أثارت أيضا هواجس الناس ومخاوفهم ، وهذا غير طبيعى ، لأن القضــايا يقصد منها أولا وقبل كل شىء الوصول الى العدل ، والعدل تطمئن له النفوس ولا تجزع •

ولكن النــاس خافوا — وحق لهم أن يخافوا — لأنهم خشوا أن هذه القضية ذات الأهمية الاستثنائية قد يختل لها التوازن القــانونى قبل أن تصــل الى حرمة القضــاة ، فتجر الى اجراءات استثنائية فى الاتهام والتحقيق ، ومن طبيعــة الاستثناء أنه لا يعرف حــدا ، لأنه لايعرف قاعدة ، بل هو ضد كل قاعدة ، ولا يعبأ بعدل أو مساواة لأنه لا مساواة مع استثناء ، ولا يخضع لضمان لأنه لا يرى ضــمانا الا فى هدم الضمانات ، ثم ان الاستثناء هو الفكاك من كل قيــد • ومن سوء حظ البشرية أن هنـــاك نفوســا اذا لم تكبح تجمح ، واذا لم ترعو لا تستحى ، وهناك نفوس تجزع ، ونفوس تطمع • وهكذا فالاستثناء، مهما تلطفنا فى تسميته ، هو الظلم بعينه لأنه يفتح البــاب لكل شهوة

ثم أخذ حضرة المحــامى يتحــدث عن تصرفات البوليس فى هذه القضية وعن وجود جمعية سياسية للقتل السياسى ثم انتهى من مرافعته بالكلمة الآتيــة :

ياحضرات المستشارين : لقد انتهى واجبى كمحام · ولا ريب أن واجب المهنــة يتطلب كثــيرا من الصــنعة ، وأنه فيمــا بين الأوراق والدوسيهات وشهادة الشهود والاتهام والدفاع يخلق جو خاص هو جو المحاكم ، وكثيرا ما تضيع على المتهم شخصيته فى وسط هــذا الزحام العلمى ··· فيصبح المتهم ويمسى فاذا به قد تحول الى نظرية قانونية أو دليل يتراشقه الخصمان ، النيابة والمحــاماة ، فهو فى نظر النيــابة منــدمج فى الاتهــام وفى نظر المحاماة هو عبــارة عن الدفاع ··· أما شخصيته ، أما حريته ، أما عواطفــه فهى فى نظر الاتهام مسألة ثانوية طالما أن القضية (مخدومة) ·

وانى أؤكد لحضراتكم أنه ليس أقسى على المتهم من هذا التجرد من شخصه ، هــذا التنكر عن أهله وجنسه ، فاذا دخل فالى سجن ، واذا خرج فالى قفص ·

يجب الا ننسى أن المتهم الذى هو فى السجن نمرة هو فى بيته حياة ومحبة · يجب أن لا ننسى أن المتهم الذى هو فى نظر النيابة اتهام هو فى الوقت نفسه أب وزوج وولد وأخ وصديق ·

فلا تعجبوا اذن ، ياحضرات المستشارين ، اذا كلمتكم عن هؤلاء المتهمين كأشخاص وبشر ، فأنتم ولله الحمد لستم قضــاة أوراق ، كما وصف حضرة قاضى الاحالة نفسه · أنتم — وانى لأرتجف من هــول ما أنتم — أنتم قضاة نفوس بشرية أودع الله مصيرها فى كلمة تخرج من افواهكم ، فأنتم لسان الله وصوت القدر · فاقضوا اذن بيننا وبين شفيق منصور ، ذلك المجرم الذى قضى الله عليه مرات عديدة قبل أن يقضى عليه بشر ، اقضوا بين ضــعفنا وقوة من اذا قال قــدر ، فأنتم أقوى وأنتم أقدر ·

(ملحوظة — قضى فى هذه القضية باعدام محمد فهمى على وبراءة باقى المتهمين) ·

مرافعـــة

حضرة صاحب العزة مصطفى حنفى بك

رئيس النيـــابة

فى قضية الجناية رقم ٣٦٦ بنـــدر الجيزة سنة ١٩٢٧ الخاصـــة بالاعتـــداء على المسيو سلامون شكوريل ، وقتله المتهم داريو جاكويل وآخرين أجانب .

حضرات المستشارين :

اسمحوا لى أن أؤدى واجبى ، فأعيـــد الى ذكراكم حادثا أليما ، ذلك الجرم الشنيع الذى ارتجت له أركان البلاد وتفزعت منـــه نفوس النـــاس : قتل تاجر من أكبر التجـــار وأطيبهم نفســا وهو وادع فى بيته ، آمن فى سربه ، وتأييم سيدة كريمة لم تستوف بعد سن الشباب، وتيتيم أطفـــال صغار مازالوا بحاجة كبيرة الى جناح الأب الرؤوف . أقصد بهـــذا مقتل المأسوف عليه المسيو ســـلامون شيكوريل بشـــارع الجيزة . ذلك الرجل الذى لم أكن أعرفه من قبل ولكنى عرفته من خلال التحقيق : رب عائلة على أحســـن ما يكون ، وزوج من أبر الأزواج ، ووالد من أطيب الآباء ورئيس شفيق بمرؤوسيه . فقد تبينت كل هـــذه الصفات فى تلك العيون الباكية ، وتلك الوجوه العابسة التى كانت تنم عما فى نفوسهم من حزن وأسى . حتى لقد كان كل منهم يرى المصـــاب مصـــابه والفقيد فقيده فأبوا أن يذهب هـــذا الرجل الى داره الأخيرة الا محمولا على أعناقهم .

حضرات المستشارين :

أنتم من شيوخ القضاة ، خبرتم الدنيا فذقتم حلوها ومرها .وفى

هذه الساحة المقدسة ساحة القضاء العـادل سمعتم شكوى المظلومين وسمعتم أنين المحزونين ، ورأيتم كيف تفقد الزوجة زوجها والأم ابنها والابن أباه فى ظروف وحشية قاسـية ، وأرسلتم كثيرين الى منصـة الاعدام بحكم القانون وأنتم هادئون مطمئنون . ولكن قلما أن تكونوا فى خبرتكم المـاضية رأيتم شيئا فظيعا كالذى أعرضـه عليكم اليوم ، رجل آمن فى بيته بين زوجه وأهله ، يؤخذ قهرا ليذبح كما تذبح الأغنام، على مرأى من زوجه التى كادت تموت أسى وفزعا . اثنا عشرة طعنـة فى صدر القتيل وظهره ، فارق بعدها الحياة وهو يتوسل اليهم بكلمات تذيب الحجر الصلب « خذوا كل شىء واتركوا لى الحياة » .

والذى يزيد الأمر فظاعة أن اثنين من المتهمين أكلا خبز القتيـل وملحه ،بل لايزال مافى بطن أحدهما من نعمة هذا السيد . فما استطاعت هذه التوسلات أن تدخل الرأفة على تلك القلوب القاسية .

قبل أن آتى على تفاصيل هـذا الحادث أريد أن أدلى بكلمة شكر لحضرات المحققين الأجانب وأذكر منهم القـاضى الايطـالى جنـاب الكافاليرى امبالومينى والقنصـل الشيخ باباداكيس وقاضى القنصـلية اليونانية على المساعدة القيمة التى أسدوها الينا فى تحقيق هذه القضية والتى كانت من الأسباب التى أدت الى النجاح ؟

ولقد ظهر بأجلى وضـوح أن التضـامن بين رجال التحقيق خير الوسائل للوصـول الى الحقائق . وقد تكون هذه القضـية من المرات القليلة التى تلاقى فيها القضـاء الأجنبى بالقضاء الأهلى ، وعندى أن مثل هذا التلاقى سيكون له أثر بعيد المدى للوصـول الى الغـاية التى ننشدها ، وسيعدو بنا بخطوات سريعة نحو ذلك اليوم الذى تصـبح فيـه هذه التحقيقـات بين أيد مصرية هى أشد ما يكون حرصـا على اقامة العدل . لقد قام البوليس المصرى بواجبه فأضاف صحيفة جديدة الى صحفه المجيدة ، وقام المحققون من الأجانب والوطنيين بواجبهم

وسيقوم القضـــــاء الأهلى بواجبـــه • وانا لمنتظرون بنفوس هادئة وقلوب مطمئنة أن يقوم القضاء الايطالى واليونانى بواجبهما أيضا بما عرف عن هاتين الأمتين من حب العدل والانصاف •

ثم أخذ حضرة رئيس النيـــابة فى سرد وقائع الدعوى والتطبيق القانونى وأتم مرافعته بالعبارة الآتية :

يحق لى الآن ، يا حضرات المستشارين ، بعد أن تقـــدمت اليكم بهذه البيـــانات الكافية ، وتلك الأدلة القاطعة أن أطلب الى حضراتكم أن تقضوا عدلا باعدام المتهم فالقتل أنفى للقتل •

نعم أن عقوبة الاعدام لن تعيد الى الضحايا أرواحهم ، ولا الى الأيامى أزواجهن ، ولا الى اليتـــامى آباءهم ، ولـــكنها مع ذلك أقصى ماتصل اليه العدالة البشرية • اما عدالة الله فستكون شـــديدة ، جزاء وفاقا لما جنب أيديهم •

ولست فى حاجة لأن أعيـــد على مسامعكم تلك الحكم التى دعت المجتمع الانسانى فى كل العصور أن يلجأ الى هذا العقاب الصارم فهو ليس انتقـــاما بل عبرة ، وفيه مع ذلك عزاء للقلوب الحزينة ، وتهدئة للخواطر المضطربة ، وتطمين للنفوس المنزعجة •

ولن تعـــيروا ، يا حضرات المستشـــارين ، أى وزن لرأى الذين يقولون ان بعض المتهمين لا يقضى عليه بهذه العقوبة ، وأن من العدل أن يسوى بينهم جميعا • نعم ان القانون الايطالى ألغى عقوبة الاعدام واستبدل بها عقوبة أخرى ، **ولكن رب حياة شر من الموت ، ورب موت خير من الحيـــاة •**

لقد قضى القـــانون الايطالى على هذه العقوبة منذ نحو أربعين عاما ، ولكن القوم من ذلك الحين يشعرون بحاجتهم الى هـــذا الجزاء

الرادع ، بل لقد أعيد فعلا فى جرائم خاصـــة • وعندى أنه لن يمضى زمن طويل حتى تعود هذه العقوبة الى ماكانت عليه •

ولقد استبدلت بعقوبة الاعدام فى ايطاليا عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة التى تعرف عندهم بالأرجسولا • وشتان بين هذه العقوبة ،وبين عقوبة الأشغال الشاقة المعروفة عندنا •

وقـــد قال المســتر بوســتن بروس فى مقـــال منشور فى مجلة " Law Quarterly Review " وصفا لهذه العقوبة ما يأتى :

« فما الأرجستولا الا اعادة لذكرى تلك الأهوال التى قاســاها عبيد الرومان فى تلك السجون المظلمة » وهى السجون التى وصــفتها بحق اللادى هاملتون كنج بقولها :

« ان هو الا اسم من الشر ، وشىء من الشر ، وجهنم على الأرض لا تمر بخاطر من كان فيه وساوس الأمل » •

ومع أن هذه السجون قد أدخل عليها من التحسينات ما استدعاه تقدم المدنية والاعتناء بالوســائل الصحية فهى لا تزال مقر الأشقياء ومقبرة الأحيــاء •

قضت المادة ٣٦٦ من القانون الايطالى بأن يحكم على من يقترف جريمة القتل المقترنة بجريمة أخرى بالأرجستولا •

والأرجستولا هى ، كما تقول المادة ١٢ من القانون المذكور ، عقوبة

مؤبدة تنفذ فى محل خاص يوضع فيه المحكوم عليه بالسجن الانفرادى لمدة السبع سنين الأولى باستمرار مع ملزوميته بالشغل ، وباقى المدة يصرح له فيها بالاشتغال مع غيره من المحكوم عليهم مع التزامه الصمت .

وبحسب المادة ٦٧ من هذا القانون يزاد على مدة الحبس الانفرادى المستمر مدة من سنة الى خمس سنوات اذا اقترف الجانى عدة جرائم معاقب عليها بعقوبات مقيدة للحرية وكانت احدى هذه العقوبات هي الأرجستولا .

وقال المسيو ادموند توريل المحامى بايطاليا فى مقدمة عن قانون العقوبات الايطالى :

« ان الأرجستولا هى أكبر عقوبة فى القانون ، وهى مؤبدة يترتب عليها حتما نظام الحبس الانفرادى فى أقسى أشكاله » .

وقد يفزع الذين يحكم عليهم بهذه العقوبة ، ويستولى عليهم اليأس حتى يبحثوا عبثا عن الموت ، بل ثبت أن كثيرين لايحتملون هذا العذاب المستمر فيموتون مبكرين ، وكثيرا ما يفقدون عقولهم .

وبودى لو كان لديكم من الوقت ما يسمح أن أتلو على حضراتكم ماقاله النواب الايطاليون عندما طلبوا اعادة عقوبة الاعدام لبعض الجرائم الى القانون الايطالى فقد نعتوه أنه أشد هولا منحكم الاعدام الذى استبدل به .

والحق أصارحكم ، يا حضرات المستشارين ، لو أن هذه العقوبة كانت فى قانوننا المصرى لرضيتها لمتهمى قانعا بأن المجرم قد نال مايستحق من عقاب .

ومع ذلك مالى أنا ولهذا البحث الذى استهوانى فأبعدنى عن

موضـــوع مرافعتى • فنحن فى مصر ، والقـــاتل والمقتول مصريان ، فانظروا حضراتكم الى قضيتنا بعين مصرية ، والشرائع الوضـــعية كما تعلمون تتغير بتغير الزمان ، وتختلف باختلاف المكان ، فما يصلح لمصر قد لا يصلح لغيرها ، والعكس بالعكس •

ان ظروف هذه القضية قاسية تدعوكم الى استعمال القسوة ، فلا تجعلوا للرأفة منفذا الى قلوبكم • وان لنا من عمل المتهمين أنفســهم مثلا ، فقــد أبوا أن يرحموا القتيل فــلا حق لهم فى الرحمة ، وأبوا أن يرأفوا بذويه فليس لهم أن يطالبوا الرأفة •

قد توسل اليهم أن يتركوا الحيـــاة ويأخذوا ماعداها فأبوا الا أن يكونوا قتلة مجرمين ، وسقوه كأس الموت مرا ، فعلى المتهم أن يجرع بالكأس التى سقاها فريسته • قال الله تعالى : « يا أيهـــا الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى » •

فان كان سلامون شيكوريل قد مات بفعل الغدر والخيانة ، فليمت داريو جاكويل باسم القانون وكلمة الله ، والجزاء من جنس العمل •

لم يكن داريو جاكويل فقيرا ولا معدما دفعته الحاجة الى السرقة والقتل ، بل هو شـــاب نشأ فى بحبوحة من العيش ، ولو شـــاء لعاش شريفـــا ومات شريفا ، ولكنها نفس شريرة تصـــبو الى الجريمة بغير حاجة ولا سبب • **ومع أنه لايزال فى ريعان الشباب وزهرة الصبا فقد سار فى طريق الاجرام شوطا بعيدا ، بل بلغ فى قصير من الزمن أقصى مداه فدل بهذا على أنه عضو فاسد يجب أن يبتر وجرثومة خبيثة يجب أن تستأصل •**

لست أخاطبكم بلسان النائب فحسب ، بل أخاطبكم بلسان زوجة ترملت وهى فى زهرة شبابها ، وأبنـــاء تيتموا وهم فى حاجة الى تساعد

أبيهم . أخاطبكم باسم هذه المدينة التى ماتجرعت من قبل هـذا النوع من الاجرام .

وأناشدكم أن تلحظوا مانحن فيه من ظروف ، فقبل هذه الجناية حدث حادث آخر ذهب بحياة رجل وولده من يد مجرم أثيم حقت فيـه كلمة القضـاء .

أخاطبكم كزوج وأب أشعر بمرارة الجرم وفظاعتـه ، وأرجو ، ياحضرات القضاة ، ان أنتم خلوتم الى خلوتكم المقدسة لتنطقوا بكلمة العدل أن تذكروا أنتم أيضا أنكم آباء وأزواج وأن تذكروا قوله تعالى وهو أصدق القائلين : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » .

من مرافعـة

حضرة الأستاذ صادق العجيزى وكيل النيابة

فى قضية الجناية رقم ٢٧ وايلى سنة ١٩٢٧

المتهم فيها أمين همام حماد أفندى عضو مجلس النواب

وآخر بقتل الصحفى (شرف)

هذه هى عقلية حضرة النائب . وشخص بمثل هذه العقلية وتلك الأخلاق لايمكن أن يكون الحكم عليـه حكما على الأمة . وليس هـذا بالدفاع الذى يقال فى صدد تهمة فردية لا علاقة للسياسـة والأحزاب بها . وما كانت النيابة يوما ما بمانعـة القصاص . ففى أول الحرب حوكم كايو الشيخ والوزير الفرنسى ، وفى آخرها حكم على بوتوملى من أظهر نواب انجلترا وأحد كتابها ، وفى مايو سـنة ١٩٢٦ حكم على

النائب الانجليزى سكلاتفالا . وفى كل يوم يسقط نواب وشيوخ ووزراء تحت سيف الجلاد ، ومع ذلك لا تتأثر الشعوب ولا البولمانات ولا الأحزاب التى ينتمون اليها . فاقضوا قضاءكم العادل وأنتم مطمئنون الى أن الحكم بادانة النائب لن يصيب سمعة مصر بسوء . انطقوا بحكمكم الفصل وأنتم على ثقة من أن الأمة والبرلمان سيرفعون رؤوسهم مفاخرين بعدل قضاتهم . طهروا البرلمان ممن لايستحقون شرف النيابة عن الأمة ، وأفهموا المنتخبين أن يحسنوا اختيار ممثليهم ، وأفهموا أمين همام أن النائب وان كان يملك التشريع فانه لايملك القضاء ولا التنفيذ . أفهموه أنه قد جاوز اختصاصه عندما نصب نفسه قاضياً على (شرف) وقضى عليه بالموت وأقام خادمه جلادا له . كونوا قساة فى حكمكم بقدر مافى هذه الجريمة من الفظاعة والخروج على القانون [1].

مرافعـــة

حضرات الأستاذ عبد اللطيف محمود رئيس النيابة

فى قضية الجنحة رقم ١٤ دايرة عابدين سنة ١٩٣١ الخاصة بنشر مقال « حفلات الطرب ألم يكن الفقراء أولى بهـا ؟ » بجريدة السياســة

يا حضرات المستشارين :

لا نقرر نظـرية جـديدة اذا قلنـا ان الصـحافة هى مدرسـة الأخلاق ، وهى مهذبة النفس ، القـائمة على الشعوب لتعليمها وترقية مداركها بما يجب أن تقدم لها كل يوم من بحوث شاملة لجميع نواحى الحياة ، فى أكرم لفظ وأقوم تعبير .

---

(١) ملحوظة قضى فى هذه الدعوى بسجن أمين همام حمادى ثلاث سنوات ألخ .

فالرجل الذى ينال شرف الانتساب اليها ، والاشتغال بهـا يجب أن يكون له من نتاج قلمه ، خير مثل يقـدمه لمن يقرؤه ، وان يكون له من خلقه أحسن قدوة لمن يطالعه ٠

ولقد كان بالود أن يكون حال الصحافة فى مصر كحال الصحافه فى البلاد الأخرى ٠ لا تعرف فى لغتهـا الا الترفـع فى القول والأدب فى التعبير والاحترام لحرية الافراد والجماعات ، والتبـاعد عن المطاعن، والضن بكرامتها عن الاختلاق ، وبهذا يمكنها أن تصل الى غرضها الذى وجدت له ، فتؤدى مهمتها السامية بدون عبث أو خروج ٠

غير أنه مما يؤلم أن تجتـاز مصر زمنا طـاشت فيـه الأقلام ، فخرجت عن اعتدالها ، وجاوزت مهمتها ، فنبت عن رشادها ، وهـذا راجع الى تطرق عناصر ، أنزلت من قدرها ، وحطت من شرفها ٠

ولقد زادتها المبادىء التى قررتها بعض الأحكام، لملابسات خاصة على ما أعتقد ، استرسالا فى غيها ، واستهتارا بما تقضى به مهمتهـا ، وتجاوزا لكل حد فى تعبيراتها ، فأصبح الأمر فوضى ، حتى لقد ظن أن الشذوذ هو القاعدة ، وأن الطعن مهما يكن جارحا فهو جائز ، وأنه يصح للكاتب أن ينال من شرف النـاس ، ومن سمعتهم ، تحت سـتار أنه نقـد مبـاح ٠

على أن هذه الأحكام على ندرتها قد وضـعت شرائط للنقد لم يرد بعض الكتاب أن يفهمها على حقيقتها توصلا الى اساءة الاستشهاد بها٠

ولئن كان من أهم أسباب نزول الصحافة عن مستواها الذى يجب أن تكون فيـه دخول هذه العنـاصر التى لا تقدر الأدب قـدره ، أو تعرف للصحافة حقيقة مهمتها ، فلطالمـا عللنـا النفس بأمل أن يقوم المثقفون من رجالها ، بتقويم اعوجاجها ، واصلاح ما فسد من شأنها ، والنهوض بها من كبوتها ٠

ولكنهم لم يكونوا عند حسن الظن بهم ، اذ سرت اليهم عدوى الأولين فاذا هم والأولون سواء .

وقضية اليوم ، تتعلق بكاتب معروف ، له من تربيته ، وثقافته ، ما يمنعه من استباحة قلمه ، يرسله من غير حق فى موقف ملكان أغناه عنها ، ويشرعه ظلما فى صدور أشخاص لا ذنب لهم ، الا أنهم يقومون بواجبهم . ذلك الكاتب هو الدكتور هيكل بك الصحفى ، القانونى ، الأديب .

ثم أخذ رئيس النيابة العمومية فى شرح وقائع الدعوى والتطبيق القانونى ثم أتم مرافعته بالعبارة الآتية :

ياحضرات المستشارين :

اذا ما خلوتم لتقولوا كلمتكم ، فأشيروا الى أن حرية الصحافة ، أو بعبارة أخرى أن حرية النقد ، ليست هى حرية أخذ الناس فى شرفهم وفى كرامتهم ، بل يجب أن تكون فى حدود القانون ، مشبعة بروح العدالة ، لا لغرض الامتهان .

ان جرائم الصحافة أثرها بالغ ، وغورها بعيد ، أثرها ليس قاصرا على المتهم ومن جنى عليه وانما يتعدى الى الكثيرين .

ولن يستوى فى نظركم من يعرف القانون بتفصيله ، ومن له من علمه وتربيته ما يرشده الى حقائق الأشياء — لن يستوى هذا مع من هو جاهل بها .

فاذا ما أخذتم الصحفى على قدر عمله ، ووضوح غرضه ، فانكم تقومون بالاصلاح الذى نرتجيه ، فلا يولد بعد ذلك ضحايا ولا يوجد متهمون .

الى المطمئنين من الناس ، والقائمين بينهم ، يفزعون الى عدلكم ، وهم يرجون بعدها أن تأخذ الصحافة مكانها الصحيح ، مكان المهـذب والمرشد الأمين ، عف اللسان ، لا سلاحا للتشهير والاعنات .

عندئذ تصبح الصحافة فى مصر للخير ، وللخير وحده [1] .

مرافعـــة

حضرة الأســتاذ عمر عارف
وكيل النيابة فى قضية الجناية
رقم ١٥٧٠ طهطا سنة ١٩٣٢

ياحضرات المستشارين : — — —

فى اليوم السادس من شهر مايو سنة ١٩٣٢ روعت مصر — ريفها والصعيد — بزلزال كاد يطغى على قرية آمنة ، وينكب الناس فى قوم أسلموا أنفسهم لراحة النوم فى قطر تمر سراعا لتبلغ بأصـحابها مدنا قاصية من الصيد الأعلى . ولولا ما عرف عن مصلحة سكة الحديد من يقظة الحفظة الحارسين ونظامها الدقيق المكين ما نقلوا الى هذه المدن قدما ، ولآثروا الدعة فى عقر دورهم على التعرض للمخـاطر فى رحلة تحف بها الجرائم ويطيف بها الآثمون .

زلزلت الأرض فى طما زلزالها . ومصر جنة الله فى أرضه . برأها نقية طاهرة على خير ما يشتهى الطامعون فى جنة الخلد ، ليس فيها من زمهرير الشمال ولا زلزال جزر الاقيانوس ولا فيما يلى بحر الروم من جبال النـــار .

ملحوظة : قضى فى هذه الدعوى بتغريم محمد حســين هيكل بك عشرة جنيهات .

نعم روعت مصر بهذا الزلزال ، وما كان للطبيعة يد فيه ولكنها يد الانسان . ويا ويل العالم أجمع من شر الانســان اذا ركب الشيطان كتفيه ، وناصب الآمنين العداء !

هذا اليوم نعده من التاريخ الجنائى فى مصر . نذكره فنذكر فيــه هذه المأساة المروعة ، ونتبين فيه دما طاهرا لشهيد كان نكرة يدق أمره على الناس ، فلا يؤبه له فى طفولة ولا شباب ، فلما مات مجاهدا فى سبيل القيام بالواجب والدفاع عما أؤتمن عليه ، كان ــ بالقياس الى الآثمين ــ الشمس وضوحا ، والندى صفاء والطفولة براءة وطهارة ... هذا الشهيد هو الحارس أبو زيد محمود .

يا حضرات القضاة :

انى أجلكم الاجلال الذى يرفعكم عن العبث برنين ألفاظ غير مطابقة فى معانيها لمقتضى الحال . وما كنت لأضيع لكم وقتا فى العبث بالألفاظ أسوقها فى حفل يشهده منكم قضاة هم فى الذروة من مجد القضاء انتهت اليهم مقاليــد الأمور فى الأموال والأرواح ، ليس لهــم الا قول الحق وعندهم فصل الخطاب .

فاذا بكيت بين أيديكم شهيدا وقلت لكم خذوا له بحقه ، وجعلته من نقاء الصحيفة فيما وصفته به ، وأكبرته بعد أن كان نكرة ، فانمــا لأن عبر هذه القضية عدت ما ألفناه كل يوم فى غيرها من القضايا .

رأيتم ورأينا فى حياتنا القضائية عدوان القتلة على الناس فكنا نشهد قاتلا راح يسرق فأحرج فقتل ، أو جانيا أخذ منه الحسد أو طوحت به الغيرة أو حفزه الثأر الدفين فنال من صاحبه واشتفى .

ولكن الأمر فى هذه القضية خرج عن مألوف هذه البواعث . انما نحن من هذه القضية فى بدعة . هى ضلالة جيل من الناس ظنوا أنهم فى

الحياة أحرار من قيود النظام ، فخرجوا عليه وحسبوا أنفسهم أنهم بالغون فى المتعة بلذاذات العيش الحظ الأوفى على ألا يقاسموا الناس تكاليف العيش من كد وجهد وكفاح .

لهذا رأيت وجوبا على أن أنظر الى القضية نظرة تحليل ودراسة ، وأخذت نفسى بأن أعرض لها فى تقص يرتب لنا مقدمات نخرج منها بتقدير ما أحيط بالمتهمين من دوافع فى جو حياتنا القومية لنرى أكان المتهمان على حق فيما ذهبا اليه ... واذا لم يكونا على حق ولم يأسرهما سحر العقيدة مما تشعه المثل العليا ، وتستعبد به بعض النفوس ، وتستهوى من عشاقها القلوب فما هما ؟ وما شأنهما فى الحياة ؟ وما الغرض الذى يرميان اليه ؟ أفيه خير شابه شر ؟ أفيه عمل صالح خالطه عمل غير صالح ؟

وفيما نحن بسبيله نسأل : أفى مصر من يرى رأى هذين المتهمين فى حياة الخمول والرضا بالدون من العيش والجرأة على الله فى الذنوب والآثام ؟

نحن من نهضتنا القومية فى عصر انشائى لما نجن ثمراتها ونتفيأ ظلالها ، بل نحن نغرس لنجنى أو يجنى أبناؤنا من بعدنا ، ونؤسس لنبنى . لهذا نحرص الحرص كله على أن نحوط آمالنا وأعمالنا بسياج من الجد والحزم يمنعنا من الاباحية فى السياسة والأخلاق . هذا السياج هو النظام الذى يمليه علينا العقل السليم الناضج والرغبة الصادقة فى خير الأمة .

نعم ونحن نبنى ونؤسس ونغرس ، نريد لمصر القوة فيما له بالصحة والأخلاق من صلة . نريد لمصر أطفالا سلمت آباؤهم من الآفات فأنبتوهم نباتا طيبا أزاهر يانعة . نريد شبابا لهم الصبر على المكاره والثبات على العمل والطموح الى المجد . نريد كهولا عركتهم التجارب فلا تبطرهم

النعمة فى النجاح أو تهد منهم أعاصير المغالبة والمكافحة . نعم نريد القوة فلا ضعف ولا تواكل ولا جبن ولا استخذاء .

ثم أخذ حضرة وكيل النيابة فى سرد وقائع الدعوى والتطبيق القانونى ثم ختم مرافعته بما يأتى :

يا حضرات القضاة :

انا أطلنا ونعتذر اليكم فيما فصلناه من أمر هذه المأساة وأفضنا فيه من بيان ، فما هى قضية رجلين قتلا رجلا وشرعا فى قتل رجل وكفى ، وما هى قضية تدمير واتلاف وحسب . ولكنها قضية لجناة خرجوا على نظام الدولة وأرادوا أن يقتلوا من الأمة هيبة الحكومة كائنة ما كانت وبئس ما يفعلون .

انما نحن فى موقفنا هذا لا ندافع عن الناس أفرادا وجماعات الا بقدر ما يمس هؤلاء من الأذى وما كنا لندافع عن المساء اليهم لسلطان كان لهم ، فلما انحاز عنهم سلطان هذا الجاه فترت منا الهمم وصغر من أمرهم ما كان عظيما عندنا . لا ! ولكننا ندافع عن مبادىء سامية لا تتغير بتغير رجال الحكم ولهذا نرفع الصوت عاليا لنقول أيها القضاة : « أن هيبة الحكومة لولا عدلكم الحازم فى خطر فصونوا هيبة الحكومة » .

اذا كنتم عرفتم بالرأفة والرحمة فها هى الأمة تناديكم بأن ارحمونى أنا ، وارأفوا بى ، فان الأشرار سلطوا نقمتهم فى مرافق حياتى وهيبة حكومتى فأى الناس يأمن الطريق والموت يكمن فيه بأروع ما يكون ؟ أى تاجر يتخطى هذا الجانب من مصر ؟ وأى سائح الى مصر يسعى ؟ وأى غريب يظن فى مصر نظاما تصونه هيبة الدولة وأمثال هؤلاء الجناة ، بعد الاقتناع بتلوثهم بالجريمة ، يعيشون ؟ وأية حياة لهم ترجى وهم يسعون لاهدار دمهم بأيديهم وبأفعالهم الآثمة ؟

انظروا الى عمر بن الخطاب وقد رأى بوادر الفتنة من انحياز على الى داره يوم بيعة أبى بكر اذ ذهب عمر يشتمل عزيمة جبارة نافذة ونادى صاحبه من وراء حجاب أن تعال بايع ولا تسع الى الفرقة والا حرقت دارك عليك ، فقال على وان كانت فيها فاطمة فقال وان ٠

انظروا الى بطرس الأكبر وقد أراد أن يخرج بوطنه من الظلمات الى النور ، فوجد الرجعيون من خصومه فى ولده الداعر المستهتر أداة هدم لبطرس ، فجعلوه محور المؤامرات ، فبصر بهم أبوه وهم يهمون برد بلاده الى الوحشية والاخلال بما رتبه من نظام ، وكان عليه أن يختار بين أن يكون أبا فيحنو على ولده وبين أن يكون منقذا لأمته ، فاختـــار الخير الأعم على الرأفة المترخصة المترهلة فى ولده ٠ وقدم هذا العاق لقضاته فلم يجدوا له الا الموت فكان هو الموت وفيه لوطنه حياة ٠

يا حضرات القضاة :

اذا اقتنعتم بأن المتهمين قتلا عمدا ، ورأيتم سبق الاصرارمتواةرا ، ورأيتم الجرائم ثابتة لا نزاع فيها فانشروا بحكمتكم على مصر الأمن والسلام ٠ اخدموا بلادكم بالنظرة البعيدة الثاقبة ٠ لا تسمعوا لدموع المتهمين الكاذبة تطلب منكم الرافة ، فأنتم موضع الرأفة وأهل لها ، ولكن مكانها من عدلكم اليوم هو فى ناحية الأمة ٠ وكيف يقتلان ويهدمان ثم يرجعان منكم بالرأفة ! وأى شىء من رأفتكم اذا فى كفة الأمة المجروحة فى عزتها وهيبة حكومتها كائنة ما كانت ٠ لا عليكم من أن يؤخذا بالحزم الصارم فى هذا الموقف ، فخير لأمتكم أن توصفوا به ، فهو سيف العدل ، والعدل محتاج لقلمه وسيفه مادام عقله البصير بين هذين الميزانين ٠

ان القاضى الذى يشتد فى الزجر لخير أمته من طريق العدل فى مثل هذه القضية لهو الذى يثبت أركان النظام من الدولة فى توجيه قوى الشعب الى العمل الشريف المثمر وسلام الجميع ٠

ان اللين فى موضع الشدة لا ينفع الا رجلين أساءا الى نفسيهما والى أمتهما معا • وأما الصرامة فى الحكم ــ وهذا يومها ــ فهى تنفع الناس جميعا • فتخيروا لعدلكم بين أن يخرج المتهمان بعد الحكم ضاحكين فرحين بالحياة ، ولو مؤبدة فى الحديد ، وبين أن تخرج الأمة باكية مروعة فى مرافقها مهددة فى هيبة الدولة • وأين نحن من الدعة ، والأمة تخاف الآثمين !!

ان الذين يصفون القضاة فى مثل هذه القضية بالقسوة لا يحسنون وضع الألفاظ فى حدود معانيها ، فانما القضاة أطباء الهيئة الاجتماعية يبترون العضو الميت من الجسم الحى •

اذا كان من الأفضل أن تحب الحكومة وألا تبغض ، فانا اذا جد الجد لا يعنينا أن تحب الحكومة أو تبغض بقدر ما يعنينا أن تهاب • الحب يذهب ويروح بذهاب أسبابه ، والبغض يتبدل بتبدل ما يدعو اليه ، وأما هيبة الدولة فلئن زالت فانما هى الثورة وقيام الأشرار وهدم النظام • وليس بعد النظام الا الفوضى ، ولا ينقذ مصر من الفوضى الا القضاء ، وعندنا والحمد لله فى مصر قضاة •

قد يحبنى من يحبنى ، وقد ينحاز عنى اذا لم أكن له على ما عودته أو اذا كنت على نفعه غير مطيق ، وقد لا يبغضنى من الناس من أعف عما بين يديه من عرض ومال ولكن الهيبة ــ ذلكم السلطان ــ الذى يبنى على خوف العقاب ورهبة الزجر فانه الأساس لخير البلاد • والناس قد يعيشون بغير أن يبغضوا دولتهم وبغير أن ينصرفوا الى حبها ولكنهم لا يعيشون فيها بغير أعناقهم التى على الأبدان • فخوف العقاب هو همهم الأول ، وما دامت الحكومة لا تأخذهم بظلم ، وأنتم منهم فى هيكل عدلكم المقدس ، فلا يعتدى على هيبة الدولة وأنتم محكمون • علموا الناس أن يخافوا العقاب فيرجعوا من بغض الجريمة الى العمل الشريف المنظم • لا لين عند بوادر الفوضى • لا رحمة بالجناة يحشون القنابل

بالموت يبثونها فى الطريق الآمنة التى تحرسها فى الأمة هيبة الحكومة ٠
أيها القضاة الذين ليس لنا فى مصر غيرهم بعد الله ! انا من مرافعتنا
بعد القيام بواجبنا أمامكم نثبت كلمة الختام :

صـــونوا دماء الأمـــة من عبـــث الأشرار المجرمين ، وردوا على
الحكومة — كائنة ما كانت — سلطانها من الهيبة ٠ قد تم للنيابة ما عليها
من واجب فلم يبق الا الواجب الأعلى — واجب القضاء الذى يجلس
منا مجلس الحكم لانصاف الأمة المظلومة من الأشرار الظالمين فلا تأخذكم
بالأشرار الجناة رأفة ، وان فى موت اثنين من الثائرين على هيبة الدولة
بألوان من التقتيل والتخريب لحياة لأمة مجدة شريفة تنام فى حراسة
القضاء وعينه البصيرة وعقله الساهر على راحة الناس ٠ لقد لجأت
الحكومة بسلطانها القوى الى عدلكم الأقوى لتصونوا لها هيبتها وانا من
عدلكم الحازم ننتظر فى الآثمين حكم القضاة وأن لكم فى القصاص حياة ٠

مرافعـــة

حضرة الأستاذ عبد اللطيف محمود رئيس النيابة

فى قضية الجناية رقم ٣٤٢ بولاق سنة ١٩٣٢

المعروفة بقضية القنـــابل

يا حضرات المستشارين :

أمام حضراتكم قضية قد يخيل الى المتهمين أن الاتهام فيها لم يبن الا على أساس اعترافهم فحسب ، وأنهم ما داموا قد عدلوا عن اعترافاتهم وعللوا هذا العدول بما أرادوا أن يدعوه أمامكم من أنه أو عز اليهم به فقد وجب على الاتهام — فى رأيهم — أن يقنع بتضويرهم ، وأن يسلم لهم بصدقهم فى عدولهم ، وحق على القضاء كذلك أن يأخذ بوجهة نظرهم دون ما مناقشة •

وواقع الحال أنها ظاهرة غريبة • لأنه من غير المنطقى ، ان لم يكن من المحال ، أن تتقدم اليكم النيابة بمتهمين عديدين ، منهم من يعترف على نفسه ومنهم من يعترف على نفسه وغيره ، وجلهم امعات لا قيمة لهم ، وتكون هذه الاعترافات بما أحاط بها من دليل ، وما لابسها من تفصيل — تكون هذه الاعترافات وليدة الجناية على الذمة والحقيقة ، وتكون قد أخذت بالطريقة التى قالوا بها •

والواقع أن هذه القضية غامر فيها بعضهم أمل الكسب العاجل ، أو تحت تأثير العاطفة الجهولة ، وتبعه البعض ظنا منه أن ما فعل انما هو نوع من أنواع الرجولة •

يا حضرات المستشارين :

يحاول المتهمون اليوم ، وقد أثقلهم جرمهم ، أن يخرجوا القضية

من حدودها الطبيعية الى ما يمكن أن يفهم منه البسطاء أن القضية ، وهى غنية بأدلتها ، لم تخرج عن كونها رواية دبرت وقائعها ، وأنهم كانوا من الداخلين فى تمثيلها رهبة أو مرضاة • ويمينا لو قدروا لادعوا أن القنابل لم تصنع ولم تلق فى المنازل والمصالح •

ولكن النيابة ، وقد أحاطت التحقيق بكل الضمانات التى تكفل للمتهم حرية الادلاء بما يريد ، ستريكم أنه لا فائدة ترجى للمتهمين من عدولهم هذا ، وأن الاعترافات التى سجلت عليهم سليمة من كل شائبة ، مؤيدة بالدليل المقنع • وستخرجون من القضية ــ كما خرجت منها ــ وأنتم على يقين من أن المتهمين السادس عشر والسابع عشر هما العقل المدبر ، واليد المحركة ، وأن كل هذه الجرائم التى وقعت فى غسق الليل حتى كادت تذهب بأرواح بريئة لاذنب لها انما هى من شيطانهما وباملائهما ، وقد مونَاها بما لهما أو بما أعطى لهما باسم اعانة العمال العاطلين •

سأقيم البرهان على أن هذه الاعترافات لها دليلها المادى الذى يسقط من قيمة الانكار ، وسأدلكم على ما يثبت سابقة اعتراف المتهمين بفعلتهم لأشخاص هم أبعد الناس عن رجال البوليس ، وقبل أن يتصل البوليس بالمتهمين أو يعرفهم • وأخيرا سأقيم الدليل على أن حركة العمال التى بدأت بحوادث العنابر والترسانة ومدرسة الفنون والصنائع تمخضت عن حركة كان يعمل فيها البعض على أنها حركة فدائية واستدرجوا اليها البعض الآخر ، ثم أنتجت الحوادث التى يحاكم المتهمون من أجلها •

لست من غواة تزويق الكلام والاكثار فيه ، بل سأحاول القصد ما استطعت متجها الى الصميم غير تارك ما قد يظن فيه مصلحة للمتهم دون أن أتقدم اليكم به وبما ينفيه •

ثم أخذ حضرة رئيس النيابة العمومية فى شرح وقائع الدعوى والتطبيق القانونى ثم أتم مرافعته بالعبارة الآتية :

يا حضرات المستشارين :

الآن وقد فرغت من واجبى فأطلعتكم على القضية بما وسعته من دليل أجد المبرر فى نفسى لأن أقول لحضراتكم كلمة هى فصل الخطاب .

ان الفرية التى تقــدم بها المتهمون ، بل أستغفر الله وأقول ان الفحش فى القول والامعان فى الكذب الذى تقدم بهما المتهمون يتطلبان منكم صرامة فى الحكم وشدة فى الاستنكار .

انهــم لم يتقدموا لــكم بدفاع عادى كغيرهم من المتهمين ، على تعدد ما عرض عليكم وعلى غيركم من قضايا . ولكنهم لجأوا الى أسوأ ما يمكن أن تلجأ اليه طائفة من المجرمين ــ لجأوا الى الطعن فى كل هيئة وليت التحقيق أو كان لها اتصال بالتحقيق .

كان البوليس هدفا لمطاعنهم فلم يتركوا فرعا من فروعه الا تحدثوا عنه بمثالب .

فادارة الأمن العام ليس فيها أمن ، وهى التى تسيطر على الهيئة التنفيذية فى البلاد لمجرد أن كان لها ضلع فى معرفة المجرمين .

والقسم السياسى جعلوه ملفقا ، لا لصحة فى دعواهم ولكن لأنه سعى وراء الحقيقة حتى وصل اليهم فأراد أن يطهر من أمثالهم البلاد .

حتى ضباط البوليس الذين قاربوا المتهمين ولو من بعيد جعلوا منهم أيضا أعضاء فى مؤامرة واسعة النطاق لا تتناول الا أمثال العزب وعبد الرسول .

بعد أن شفوا حقدهم تخطوا تلك الهيئة المحترمة فى كل الممالك الى ما هو شاق على النفس التحدث فيه .

جرؤءا فصوبوا سهاما ظنوا أنهم يصيبون بها معقلا من أهم المعاقل فى كرامة البلاد .

ولن أطيل عليكم التحدث عنها فهى هيئة لى شرف الانتماء اليها وفخر الانتساب الى أسرتها .

هيئـــة أرفعها ويرفعها الـــكل الى الهامات ، فتنحنى أمام شرفها الرؤوس وتطأطىء أمام عظمتها الجباه .

هيئة تمثل الهيئة الاجتماعية ، وهى فى الوقت نفسه جزء من قدس القضاء .

ان الهيئة التى لا تعرف ضغنا ، كهيئة النيابة ، لا تعرف أشخاصا ، ولكنها تعرف الكرامة ، وتعرف الواجب والقانون . فمن شاء أن يحتكم الى القانون فنحن سواسية . نتقـــدم اليـــه على أن يكون ندا يعرف القانون .

وعندها يكون للنيابة فخر الاحتكام وفخر الحكم ، وعندها يقول القدس الذى تخضع له اذا كانت النيابة تجنت على المتهمين أو أنها كانت وستكون دائما الركن الحصين .

يا حضرات المستشارين :

يظهر أن البغاث بأرضنا يستنسر . فما دام المتهمون قدروا على التقول فى النيابة فلم لا يتقولون أيضا على القضاء .

الى هذا الحد وصل الاستهتار بكل ما هو مصون ...

راشوا أيضا سهامهم يظنون أنها تصيب فرموا رئيس المحكمة قاضى المعارضة ، ورموا قاضى الاحالة وهم يعمهون . أنا لا أجرؤ أن أتكلم عن القضاء . لقد كنتم قضاة ، وأنتم الآن قضاة وهم يتهمون القضاء .

وليس لى أن أدفع عن كرامة هيئة عدلها من عدل السماء ، انما لى أن أطرح الأمر عليكم لتقولوا رأيكم فى رجال القضاء[1] .

مرافعـــة

حضرة صـــاحب العزة محمـــد لبيب عطية بك النائب العمومى أمام محكمة جنايات مصر فى قضية اتهام محمد على الفـــلال بالشروع فى قتل دولة اسماعيل صـــدقى باشا رئيس مجلس الوزراء دور شهر يوليه سنة ١٩٣٣ . بجلسة الجنايات المنعقدة تحت رياسة حضرة محمد نور بك وعضوية حضرتى ابراهيم ثروت بك ومحمد نجيب ســـالم بـــك

حملت أمانة الدعوى العامة وهى أمانة خطيرة تنوء بهـا الجبال الرواسى ، ولكن خطرها تحوطه روعة ، ويحفه جلال يتأسى به من يعرف الواجب ويصبو الى حسن القيام به .

بالأمس كنت جالسا بينكم أشاطركم ماتعانون من مشقة فى استظهار الحقيقة واستخلاص غوامضها ، وكنت ألتمس معكم عون بارىء الكائنات الذى يعـــلم السر وأخفى ، وأستلهمه كما تستلهمون صـــواب الرأى وطمأنينة اليقين .

---

(١) ملحوظة : حكم فى هذه القضية ببراءة شعبان احمد شعبان وعبد الرحمن عليوه وشوقى سلمان ومحمد جاد وحسن والدكتور نجيب اسكندر ومعاقبة ابراهيم محمد عبده الشبهم بالفلاح وباقى المتهمين بعقوبات تتراوح بين الحبس مع الشغل لمدة ستة شهور وبين الأشغال الشاقة لـــدة خمس عشرة سنة .

فلا عجب ، وهذه حالى ، وتلك دخيلة نفسى ، ان شعرت اليوم فى موقفى أمامكم بعبء مضاعف الأثقال ، عبء الأمين على دعوى الهيئة الاجتماعية ذات الخطر العظيم ، وعبء الزميل الذى عليه لزملائه ، وقد لابس ما يعانون ، واجب الجهد لهم حتى يطمئنوا الى ما به يقضون •

نادانى هذا الواجب من أول لحظة توليت فيها تحقيق هذه القضية فلبيت نداءه ، وسرت فى سبيلى على نحو أرجو أن يكون رائدى فيه لم يغب ، وبغيتى منه لم تفت ، والرضا عنه لم يضن به •

جعلت رائدى أن يكون تحقيق النيابة — التى حلت عملا فى نظامنا القضائى محل قاضى التحقيق — محوطا بكل ما يلبسه ثوب تحقيق ذلك القاضى ، ويكسبه مميزاته ويزينه بضماناته • فأفسحت للمتهم ما وسعنى الافساح له ، وسارعت الى اجابته فى كل ما طلب ، وأرحت هواجسه مما خشى ، وأوصلت رجاءه لعنوانه فى الصغيرة وفى الكبيرة، وهيأت له فى أولى خطوات التحقيق الاستنجاد بمن يدافع عنه، فأبلغت رسالته لنقابة المحامين لتندب له من يستودعه سره ويرعى مصلحته • ولما أهدرت تلك الرسالة ، ولم يجب داعيها ، طمأنت لوعته ، وهدأت ثورته ، ذاكرا له أن أوان ذلك لم يفت وأن لكل سائلة قرارا •

كان هذا رائدى • أما بغيتى فقد عملت على أن أسعف خلجات نفوسكم ، وخطرات قلوبكم ، وتشدد ضمائركم ، بكل مدد من الوقائع بغير تمييز بين ما راح منها فى جانب الاتهام وما يمكن أن يتعلق به الدفاع •

أما رضاكم فآمل أن يكون مظهره كلمة الحق التى لابد أنكم قائلوها اليوم أو غد ، أليس الصبح بقريب ؟

حسبى بما قدمت فاتحة لمرافعة الاتهام • أستغفر الله بل فاتحة لقصة الحادث الجلل الذى وقع فى صدر يوم ١٦ مايو الماضى ، وما

تستتبعه وقائعــه بجملتها وتفاصيلها من تحليل وتمحيض ، سواء أكان ذلك من ناحيــة القــانون أو من ناحيــة البواعث النفسية وأثرها فى الاجتماع ، ثم استظهار ماانكشف لعينى من أدوائها ،وطرحه جليا أمام حكمتكم البصيرة ، لتصفوا الدواء وتعالجوا الداء .

سأعرض على أسماعكم هــذه القصــة مستهديا فى سردها بنور اليقين ، وطمأنينــة الاقتناع ، وسأنبذ كل ماقــد يحيطنى — ولو فى مظاهر الأشياء — بشبهة من قال « لكل حال لبوسها » فليس بهين على — وقد أوفيت على تلك السنين — أن أتحلل بين عشية وضــحاها من تفكير القاضى وميزان تقديره وروح تمييزه ، لاسيما وأننى لا أزال على نسبى القديم .

سأنبذ ثوب التهافت على الاتهــام ، كما نبذت فى تحقيق الترحيب به والهشاشة له . وآية ذلك ما أرجو أن تشهد به ثناياه من السير وراء كل جليل وكل دقيــق من الوقائع التى قــد تنفع ذاك المتهم المــاثل أمامكم . ولم تكن لى أية مفخرة فى ذلك ، فان الواجب العــريق قــد تضــاعف فى نظرى عشية رأيت المتهم وقــد استنجد فلم ينجــد ، والتمس المواتاة من حظيرة رجال الدفاع فلم يؤات . ولعل تلك الهيئة الموقرة لم ترد بتغاضــيها الا معنى الاستنكار لمــا وقع . ولعلهــا ، ولتعــذرنى اذا انتزعت معنى آخر فيــه الترضية لنفسى ، وثقت بأن الرجل — وأمره اذ ذاك فى يدى — ليس فى حاجــة الى معونة . وانى لأشكر لها هذه التحية المغطاة ان كان حقا ما همس به الظن الكريم .

قلت انى سأنبذ ثوب التهــافت على الاتهام ، وها أنا أطيع منطق هــذا الوعد ، وأكف فى هــذه المرحلة من حــديثى عن تقــديم المتهم بصفاته التى كشف عنهــا التحقيق ، خشية الظن الفطين بأنى أستجلب ضوءا قاتما من حوله تنعكس أشــعته على ما سأسرده من أعمــاله ، فيتجسم صغيرها ويعظم ضئيلها . سأكف عن ذلك الآن برغم ما جرت

به العـادة من تقـديم المتهم لقضـاته بالصفات التى انكشفت عنـه قبل الاسترسال فى بيان ما أتاه .

وسـأكف أيضـا فى الآونة الحـاضرة عن ذكر من وقعت عليـه الجنـاية فان التنويه به فى هذه المناسبة قد يؤول أنى أستثير غضبتكم على الجـانى قبل أن أقنع ضمائركم بجنايتـه ، واو أنه تأويل واهى الأساس ، فانكم أكبر من أن تغضبوا قبل أن تطمئنوا ، وأنا فى هـذا معكم على عهد مسئول .

ثم تكلم سعادة النـائب عن وقائع الدعوى والتطبيق القـانونى وتحقق ظرف سبق الاصرار والترصد وانتهى من مرافعتـه بالخاتمة الآتيـة :

لقـد أبنت مبلغ نذالة الجريمـة ومدى شرها اذا هى وقعت على كابر جليل المقـام . أبنت ذلك بقدر ما فسح لى موقف النائب العمومى وأجازته الأمانة فى عنقـه . ولو أن المجـال حر لقـائل لسمعتم كل ما يتطلبـه حزمكم وترضـاه عـدالتكم ، ولكنى كما أسـلفت مؤمن بفطنتكم ولى فيهـا كل الغناء .

على أن هنـاك أمرا أجل شـأنا وأعظم خطرا لا أستطيع حمل ضميرى على كتمانه ولا عقـد لسانى عن بيـانه . هذا الأمر الخطير هو ما أشرت اليه فى صدر مرافعتى وألمحت به عند حديثى على الباعث الذى دفع المتهم الى جنايته .

ذلك هو ولع التبطل ، وغواية الاستعظام ، وما أجملت فى جلسة الاحالة بأنه داء اجتماعى وبيل يهـدد الحكومات فى كيانهـا ، ويثل النظام من أساسه ، وأنه ان لم يؤخـذ بيد عسراء استـفحل ضرره وعز اتقاء شره .

نعم استفحل ضرره وعز اتقاء شره .

ارسموا لأنفسكم ، بواسع خبرتكم ونافذ بصيرتكم ، حال البلاد وقد أصبح كل عظيم فيها هدفا لنار أى شقى تربعت فى نفسه الشريرة هذه الأفكار الخطرة .

تلك حال أستعيذ بالله منها .

هى مضيعة للطمأنينة ومقتلة للنبوغ ومفسدة لنفس العاملين . بل هى حفرة يتردى فيها اخلاص المخلصين ونشاط المجدين وايمان المصلحين .

أنتم قضاة الحق ولكنكم أيضا مربو الخلق .

وكلمة العدل التى بها تنطقون يتجاوب صداها فى نفوس ناشئة ، ونفوس ثائرة ، ونفوس فزعة خائرة .

فاجعلوا حكمكم رسالة عدل وبلاغ عبرة وبشرى سلام .

فاذا جنحتم الى الرحمة فاشملوا بها النشء وقد أوشك أن يلتوى ، والبلاد وقد دب فيها ذاك الداء الوخيم .

أنتم أطباء النفس كما أنتم قضاة العدل . والطبيب البصير لايتردد ولا ينى عند الضرورة الحاكمة ، والقاضى الحازم يهذب بالزجر الحكيم ، وهو فى زجره من الراحمين .

وازنوا بين روعة الرحمة وقد حلت بالبلاد وبالنشء وبين ضآلتها ان هى حلت بهذا المجرم العتيد ، ثم اقضوا قضاءكم والله معكم انه نعم الهادى ونعم النصير .

ومن الخطب الهـامة التى يجب معرفتهـا من خطب الامام على رضى الله عنه وخطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا شك أن الرسول ﷺ كان قمة البلاغة والخطابة وقد صـدق أمير الشعراء عنـدما قال فى أمير الأنبيـاء :

فمـا عرف البـلاغة ذو بيـان

اذا لـم يتخـذك لـه كتـابا

كان اذا خطب يناطح السحاب ويتطـاول الى الجوزاء ويزاحم الشمس فى الجـلاء ، كان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، بعيـد المدى ، شـديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطلق الحكمة من نواحيه .

ومهما قال اللسان وأملى الجنـان وفاض البيان وسال البنـان فلن أصل الى شـاطىء البحر الذى عبره فارس المنـابر على بن أبى طالب رضى الله عنه .

من خطب الامام على كرم الله وجهه

١ — خطبتـــه الزهـــراء

« الحمد لله الذى هو أول كل شىء وبديه (١) ، ومنتهى كل شىء ووليه ، وكل شىء خاشع له ، وكل شىء قائم به ، وكل شىء ضارع اليه ، وكل شىء مستكين له •

خشعت له الأصـــوات ، وكلت دونه الصـــفات ، وضـــلت دونه الأوهام ، وحارت دونه الأحلام (٢) ، وانحسرت (٣) دونه الابصار ، لا يقضى فى الامور غيره ، ولا يتم شىء منها دونه •

سبحانه ما أجل شـــأنه ، وأعظم سلطـــانه ، تسبح له السموات العلى ، ومن فى الأرض السفلى ، له التسبيح والعظمة ، والملك والقدرة ، والحول والقوة ، يقضى بعلم ، ويعفو بحلم •

قوة كل ضـــعيف ، ومفزع كل ملهوف ، وعز كل ذليل ، وولى كل نعمة ، وصـــاحب كل حسنة ، وكاشف كل كربة ، المطلع على كل خفية ، المحصى لكل سريرة ، يعلم ما تكن الصـــدور ، وما ترخى عليه الستورة

الرحيم بخلقـــه ، الرؤوف بعبـــاده ، من تكلم منهم سمع كلامه ، ومن سكت منهم علم ما فى نفسه ، ومن عاش منهم فعليه رزقـــه ، ومن مات منهم فاليه مصـــيره ، أحاط بكل شىء علمـــه ، وأحصى كل شىء حفظـــه •

اللهم لك الحمد عـــدد ما تحيى وما تميت ، وعـــدد أنفاس خلقك

---

(١) البديه : أول كل شىء ومبداه .
(٢) الأحلام : العقول .
(٣) انحسرت : تعبت وكلت الأبصار فلم تستطع أن تراه .

ولفظهم ولحظ أبصارهم ، وعدد ما تجرى به الريح ، وتحمله السحاب ، ويختلف به الليل والنهار ، ويسير به الشمس والقمر والنجوم ، حمدا لا ينقضى عدده ، ولا يفنى أمده •

اللهم أنت قبل كل شىء ، واليك مصير كل شىء ، وتكون بعد هلاك كل شىء ، وتبقى ويفنى كل شىء ، وأنت وارث كل شىء ، أحاط علمك بكل شىء ، وليس يعجزك شىء ، ولا يتوارى عنك شىء ، ولا يقدر أحد قدرتك ، ولا يشكرك أحد حق شكرك ، ولا تهتدى العقول لصفتك ، ولا تبلغ الأوهام حدك •

حارت الأبصار دون النظر اليك ، فلم ترك عين فتخبر عنك كيف أنت وكيف كنت ، لا نعلم اللهم كيف عظمتك ، غير أنا نعلم أنك حى قيوم ، لا تأخذك سنة (٤) ولا نوم ، لم ينته اليك نظر ، ولم يدركك بصر ، ولا يقدر قدرتك ملك ولا بشر •

أدركت الأبصار ، وكتبت الآجال ، وأحصيت الأعمال ، وأخذت بالنواصى والاقدام ، لم تخلق الخلق لحاجة ولا لوحشة ، ملأت كل شىء عظمة ، فلا يرد ما أردت ، ولا يعطى ما منعت ، ولا ينقص سلطانك من عصاك ، ولا يزيد فى ملكك من أطاعك •

كل سر عندك علمه ، وكل غيب عندك شاهده ، فلم يستتر عنك شىء ، ولم يشغلك شىء عن شىء ، وقدرتك على ما تقضى كقدرتك على ما قضيت ، وقدرتك على القوى كقدرتك على الضعيف ، وقدرتك على الأحياء كقدرتك على الأموات •

فاليك المنتهى ، وأنت الموعد ، لا منجى الا اليك ، بيدك ناصية

---

(٤) السنة : النعاس •

كل دابة ، وباذنك تسقط كل ورقـــة ، لا يعزب (٥) عنك مثقـــال ذرة ، أنت الحى القيوم •

ســبحانك ، ما أعظم ما يرى من خلقــك ، وما أعظم مايرى من ملكوتك ، وما أقلهما فيما غاب عنــا منه ، وما أســبغ (٦) نعمتــك فى الدنيا وأحقرها فى نعيم الآخرة ، وما أشــد عقوبتك فى الدنيــا ، وما أيسرها فى عقوبة الآخرة •

وما الذى نرى من خلقــك ، وتعتبر من قــدرتك ، ونصــف من سلطانك ، فيما يغيب عنــا منه ، مما قصرت أبصــارنا عنــه ، وكلت عقولنا دونه ، وحالت الغيوب بيننا وبينه •

فمن قرع ســنه ، وأعمل فكره : كيف أقمت عرشــك ؟ وكيــف ذرأت (٧) خلقــك ؟ وكيف علقت فى الهواء ســماواتك ؟ وكيف مددت أرضــك ؟ يرجع طرفه (٨) حاسرا وعقله مبهورا ، وسمعه والها (٩) ، وفكره متحيرا •

فكيف يطلب علم ما قبل ذلك من شــأنك ، اذ أنت وحــدك فى الغيوب التى لم يكن فيها غيرك ، ولم يكن لها سواك ، لا أحد شــهدك حين فطرت الخلق ، ولا أحد حضرك حين ذرأت النفوس •

فكيف لا يعظم شــأنك عنــد من عرفك ؟!! وهو يرى من خلقك ما ترتاع به عقولهم ، ويمــلأ قلوبهم ، من رعــد تفزع له القلوب ، وبرق يخطف الأبصار ، وملائكة خلقتهم وأسكنتهم سماواتك ، وليست

---

(٥) أى لا يغيب من علمه شىء ولو كان مثقال ذرة .
(٦) أى أن نعمته سابغة تامة .
(٧) ذرأ الخلق : خلقهم .
(٨) الطرف : البصر . حاسرا : كليلا .
(٩) الوله : ذهاب العقل والتحير .

فيهم فترة [١٠] ولا عندهم غفلة ، ولا بهم معصية •

هم أعلم خلقــك بك ، وأخوفهم لك ، وأقومهم بطــاعتك ، ليس يغشاهم نوم العيون ، ولا ســهو العقول ، لم يسكنوا الأصــلاب ، ولم تضمهم الأرحام ، أنشأتهم انشاء ، وأسكنتهم سماواتك ، وأكرمتهم بجوارك ، وائتمنتهم على وحيك ، وجنبتهم الآفات ، ووقيتهم السيئات، وطهرتهم من الذنوب ، فلولا تقويتــك لم يقووا ، ولولا تثبيتــك لم يثبتوا ، ولولا رهبتــك لم يطيعوا ، ولولاك لم يكونوا •

أما انهم على مكانتهم منك ، ومنزلتهم عنــدك ، وطول طــاعتهم اياك لو يعاينون ما يخفى عليهم لاحتقروا أعمــالهم ، ولعلموا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك •

فسبحانك خالقا ومعبودا ومحمودا بحسن بلائك عند خلقك ، أنت خلقت ما دبرته مطعما ومشربا ، ثم أرسلت داعيا الينا ، فلا الداعى أجبنا ، ولا فيما رغبتنا فيه رغبنا ، ولا الى ماشوقتنا اليه اشتقنا •

أقبلنــا كلنا على جيفــة [١١] نأكل منهــا ولا نشبع ، وقد زاد بعضنا على بعض حرصا ، لما يرى بعضنا من بعض فافتضحنا بأكلها ، واصطلحنا على حبهــا ، فأعمت أبصــار صــلاحنا وفقهائنــا ، فهم ينظرون بأعين غير صحيحة ، ويسمعون بآذان غير سميعة ، فحيثمــا زالت زالوا معها ، وحيثما مالت أقبلوا اليها •

وقــد عاينوا المأخوذين على الغرة [١٢] كيف فجــأتهم الأمور ، ونزل بهم المحذور ، وجاءهم من فراق الأحبــة ما كانوا يتوقعــون ،

---

(١٠) الفترة : الضعف •

(١١) الجيفة : هى جثة كل شىء يموت إذا أنتنت وخرجت رائحتها • والمقصود هنا الدنيا ، فهى جيفة منتنة لا يتكالب عليها الا كلاب الطريق •

(١٢) على غرة : على غفلة على سبيل المفاجأة •

وقدموا من الآخرة الى ما كانوا يوعدون ، فارقوا الدنيـا وصاروا الى القبور ، وعرفوا ما كانذا فيـه من الغرور ، فاجتمعت عليهم حسرتان : حسرة الفوت وحسرة الموت •

فاغبرت لها وجوههم ، وتغيرت بهـا ألوانهم ، وعرقت بها جباههم، وشخصت أبصارهم ، وبردت أطرافهم ، وحيل بينهم وبين المنطق •

وان أحدهم لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه ، ثم زاد الموت فى جسده حتى خالط بصره ، فذهبت من الدنيا معرفته ، وهلكت عنـد ذلك حجته ، وعاين هول أمر كان مغطى عليه ، فأحد (١٣) لذلك بصره •

ثم زاد الموت فى جسده ، حتى بلغت نفسـه الحلقوم ، ثم خرج روحه من جسده فصـار جسدا ملقى لا يجيب داعيا ، ولا يسمع باكيا، فنزعوا ثيـابه وخاتمـه ، ثم وضـأوه وضوء الصـلاة ، ثم غسلوه وكفنوه أدراجا (١٤) فى أكفـانه ، وحنطوه ثم حمـلوه الى قـبره ، فـدلوه (١٥) فى حفرته ، وتركوه مخلى بمقطعـات من الأمور ، وتحت مسألة منكر ونكير (١٦) ، مع ظلمة وضيق ، ووحشة قبر ، فذلك مثواه حتى يبلى جسده ويصير ترابا •

حتى اذا بلغ الأمـر الى مقداره ، وألحق آخـر الخلق بأوله ، وجاءه أمر من خالقـه ، أراد به تجـديد خلقـه ، فأمر بصـوت من

---

(١٣) اى جعله حديدا شديدا شاخصا .

(١٤) الادراج : لف الشىء فى الشىء . فها هو قد لف فى أكفانه .

(١٥) دلوه اى انزلوه .

(١٦) ذلك ان الانسان اذا وضع فى قبره وذهب عنه أصحابه واهله وخلانه جاءه ملكان منكر ونكير ، فيقعدان الميت ويسألانه : من ربك ؟ وما دينك وما النبى الذى بعث فيكم .

سماواته ، فمــارت السماوات مورا [١٧] ، وفزع من فيهــا ، وبقى ملائكتها على أرجائها •

ثم وصـــل الأمر الى الأرض — والخلق رفات لا يشـــعرون — فأرج [١٨] الارض وأرجفها وزلزلها ، وقلع جبـــالها ونسفها وسيرها ، وركب بعضها بعضـــا من هيبتـــه وجلاله ، وأخرج من فيها ، فجددهم بعد بلائهم، وجمعهم بعد تفرقهم ، يريد أن يحصيهم ويميزهم •

فريقا فى ثوابه ، وفريقا فى عقابه ، فخلد الأمر لأبده دائما ، خيره وشره ، ثم لم ينس الطـــاعة من المطيعين ، ولا المعصية من العاصين، فأراد عز وجل أن يجازى هؤلاء وينتقم من هؤلاء •

فأثاب أهل الطاعة بجواره وحلول داره وعيش رغد وخلود أبـــد ومجاورة الرب ، وموافقة محمد ﷺ ، حيث لا ظعن [١٩] ولا تغير ، وحيث لا تصيبهم الأحزان ، ولا تعترضهم الأخطـــار ، ولا تشخصهم الاســـفار •

وأما أأهل المعصية فخلدهم فى النـــار ، وأوثق منهم الأقـــدام ، وغلت [٢٠] منهم الأيدى الى الأعنـــاق ، فى لهب قد اشتد حره ، ونار مطبقـــة [٢١] على أهلها ، لا يدخل عليهم بهـــا روح [٢٢] ، همهم شديد، وعذابهم يزيد ، ولا مدة للدار تنقضى ، ولا أجل للقوم ينتهى •

---

(١٧) مارت السماوات أى تحركت وجاءت وذهبت حتى اختل نظامها .

(١٨) أى جعلها ترتج وتهتز وتضطرب وتلقى ما فى جوفها .

(١٩) الظعن : الرحيل .

(٢٠) غلت الاقدام : قيدت وسلسلت بالسلاسل والقيود .

(٢١) مطبقة على أهلها : قد احاطت بهم فلا يستطيعون الفكاك منها .

(٢٢) الروح : هو النسيم العليل الذى ينعش النفوس ويسرها .

اللهم انى أسـألك بأن لك الفضـل ، والرحمـة بيـدك ، فأنت وليهما ، لا يليهما أحد غيرك ، وأسألك باسمك المخزون المكنون ، الذى قام به عرشك وكرسيك وسماواتك وأرضـك ، وبه ابتدعت خلقـك ، والصلاة على محمد ، والنجـاة من النـار برحمتـك ، آمين ، انـك ولى كريم .

* * *

٢ — خطبـة جامعة لخصال الخير

قام على بن أبى طالب خطيبا فقال :

« الحمد لله فاطر الخلق وفالق الاصباح ، وناشر الموتى وباعث من فى القبور ، وأشـهد أن لا اله الا الله وأشـهد أن محمـدا عبده ورسوله .

أوصيكم بتقوى الله ، فان أفضـل ما توسل به العبـد الايمان والجهاد فى سبيله ، وكلمة الاخلاص فانهـا الفطرة ، واقام الصـلاة فانها الملة ، وايتـاء الزكاة فانهـا من فريضته ، وصوم شهر رمضان فانه جنـة (٢٣) من عـذابه ، وحج البيت فانه منفـاة للفقـر مدحضـة (٢٤) للذنب ، وصـلة الرحم فانهـا مثراة (٢٥) فى المـال منسأة (٢٦) فى الأجل محبة فى الأهل ، وصدقة السر فانه تكفر الخطيئة وتطفىء غضب الرب ، وصنع المعروف فانه يدفع ميتـة السوء ويقى مصارع الهول .

---

(٢٣) جنة : وقاية .

(٢٤) مدحضة للذنب : مذهبة له ماحقة له .

(٢٥) اى سببا للثراء والغنى .

(٢٦) منشأة فى الأجل : زيادة فى العمر .

أفيضـــوا فى ذكر الله فانه أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وعــد المتقون فان وعـــد الله أصـــدق الوعد ، واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ فانه أفضل الهدى ، واستنوا بسنته فانهــا أفضـــل السنن ، وتعلموا كتاب الله فانه أفضل الحديث ، وتفقهوا فى الدين فانه ربيع القلوب .

واستشفوا بنوره فانه شفاء لمـــا فى الصدور ، وأحسنوا تلاوته فانه أحسن القصص ، واذا قرىء عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمـــون .

واذا هـــديتم لعلمه فاعملوا بمـــا علمتم به لعلكم تهتدون ، فان العـــالم العامل بغير علمه كالجاهل الجـــائر الذى لا يستقيم عن جهله، بل قد رأيت أن الحجة أعظم والحسرة أدوم على هـــذا العالم المنسلخ من علمه ، على هذا الجاهل المتحير فى جهله ، وكلاهما مضلل مثبور .

لا ترتابوا فتشكوا ، ولا تشكوا فتكفروا ، ولا ترخصوا لأنفسكم فتـــذهلوا (٢٧) ، ولا تذهلوا فى الحق فتخسروا ، ألا وان من الحـــزم أن تثقوا ، ومن الثقـــة ألا تغتروا ، وان أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه، وان أغشكم لنفسه أعصـــاكم لربه ، من يطع الله يأمن ويستبشر ، ومن يعص الله يخف ويندم ، ثم سلوا الله وارغبوا اليه فى العافية ، وخير ما دام فى القلب اليقين .

ان عوازم الأمور أفضلها ، وان محدثاتهـــا شرارها ، وكل محدث بدعة ، وكل محدث مبتـــدع ، ومن ابتـــدع فقـــد ضيع ، وما أحدث محدث بدعة الا ترك بها سنة .

المغبون من غبن دينـــه ، والمغبون من خسر نفســـه ، وان الرياء

---

(٢٧) الذهول : ترك الشىء تناسيا له من عمد أو شغله شاغل عنه ، فان الاكثار من الترخص فى الأمور يشغل الانسان كثيرا عن واجبات الدين .

من الشرك ، وان الاخلاص من العمل والايمان ، ومجالس اللهو تنسى القرآن ويحضرها الشيطان وتدعو الى كل غى ، ومجالسة النساء تزيغ القلوب وتطمح اليه الأبصار وهى مصائد الشيطان .

اصدقوا الله فان الله مع من صـــدق ، وجانبوا الكذب فان الكذب مجانب للايمان ، ألا ان الصـــدق على شرف منجـــاة وكـــرامة ، وان الكذب على شرف ردى وهلكة .

ألا وقولوا الحق تعرفوا به ، واعماوا به تكونوا من أهله ، وأدوا الأمانة الى من ائتمنكم ، وصلوا أرحام من قطعكم ، وعودوا بالفضــل على من حرمكم ، واذا عاهــدتم فأرفوا ، واذا حكمتم فاعــدلوا ، ولا تفاخروا بالآباء ولا تنــابزوا [٢٨] بالألقـــاب ولا تمازحوا ، ولا يغضب بعضكم بعضا .

وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين [٢٩] وفى ســـبيل الله وابن السبيل والســـائلين وفى الرقاب ، وارحموا الأرملة واليتيم ، وأفشوا السلام وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها .

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب » [٣٠] .

وأكرموا الضيف ، وأحسنوا الى الجار ، وعودوا المرضى ، وشيعوا الجنازة ، وكونوا عباد الله اخانا .

---

(٢٨) التنابز بالالقاب : رمى الناس بعضهم بعضـــا بالالقاب السيئة المهينـــة .

(٢٩) الغارمين : الذين لزمتهم الديون فى غير معصية .

(٣٠) سورة المائدة : ٢ .

أما بعد ، فان الدنيـا قـد أدبرت وأذنت بوداع ، وان الآخرة قـد أظلت وأشرفت باطلاع ، وان المضمار اليوم وغدا السباق ، وان السبقة [٣١] الجنة والغاية النار •

ألا وانكم فى أيام مهل من ورائهـا أجل يحثه عجل ، فمن أخلص لله عمله فى أيام مهله قبل حضـور أجله فقـد أحسن عمله ونال أمله، ومن قصر عن ذلك فقـد خسر عمـله وخاب أمله وضره أمله ، فاعملوا فى الرغبـة والرهبة ، فان نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبـة ، وان نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة ، فان الله قد تأذن المسلمين بالحسنى ولمن شكر بالزيادة •

وانى لم أر مثل الجنـة نام طالبهـا ولا كالنار نام هاربها ، ولا أكثر مكتسبا من شىء كسبه ليوم تدخر فيه الذخائر وتبلى فيه السرائر وتجتمع فيه الكبائر •

وانه من لا ينفعـه الحـق يضره البـاطل ، ومن لا يستقيم به الهـدى يجر به الضـلال ، ومن لا ينفعـه اليقين يضره الشك ، ومن لاينفعه حاضره فعازبه [٣٢] عنه أعوز وغائبه عنه أعجز •

وانكم قـد أمرتم بالظعن [٣٣] ودللتم على الزاد ، ألا وان أخوف ما أخاف عليكم اثنان : طول الأمل واتبـاع الهوى ، فأما طول الأمل فينسى الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق •

ألا وان الدنيا قـد ترحلت مدبرة ، وان الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولهما بنون فكونوا من أبنـاء الآخرة ان اسـتطعتم ، ولا تكونوا من

---

(٣١) أى ان الجنة مجال التسابق والتنافس .

(٣٢) العازب : الغائب البعيد .

(٣٣) الظعن : الرحيل .

بنى الدنيا ، فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل » [٣٤] .

* * *

٣ — وصيته الجامعة لكميل

عن كميل النخعى قال : أخذ بيدى على بن أبى طالب ، فخرج بى الى ناحية الجبانة ، فلما أصحر [٣٥] تنفس الصعداء ثم قال :

« يا كميل ، ان هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، فاحفظ عنى ما أقول لك :

الناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، مع كل ريح يميلون ، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا الى ركن وثيق .

يا كميل ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ، ومنفعة المال تزول بزواله .

يا كميل ، محبة العلم دين يدان به ، يكسب الانسان الطاعة فى حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل ، مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون مابقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة ، ها ان هاهنا لعلما جما — وأشار بيده الى صدره — لو وجدت له حملة ، بلى أجد لقنا [٣٦] غير مأمون ، يستعمل آلة الدين للدنيا ، ويستظهر

---

(٣٤) البداية والنهاية لابن كثير (٣٠٧/٧) ، وحياة الصحابة (٤٧٢/٣ — ٤٧٤) ، وجاء بعضها فى اعجاز القرآن للباقلانى (ص ١٤٥) .

(٣٥) أصحر : خرج الى الصحراء .

(٣٦) اللقن : سريع الفهم والفطنة ، ولكنه غير مأمون اى غير ثقة .

بنعم الله على عبـاده وبحججه على أوليـائه ، أو منقـادا لحمـلة الحق ولا بصيرة فى أحنائه (٣٧) .

ينقـدح (٣٨) الشك فى قلبـه لأول عارض من شـبهة ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، أو منهوما باللذة سلس (٣٩) القيـادة للشهوة ، أو مغرما بالجمع والادخار ، ليسا من رعاة الدين فى شىء ، أقرب شبها بهما الأنعام السائمة (٤٠) .

كذلك يموت العلم بموت حامليه ، اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله ، اما ظاهرا مشهورا ، واما خائفا مغمورا ، لئلا تبطل حجج الله وبينـاته .

وكم ذا وأين ؟ أولئك والله الأقلون عـددا ، والأعظمون عند الله قـدرا ، بهم يحفظ الله حججه وبينـاته ، حتى يودعوها نظراءهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباههم .

هجم بهم العلم على حقيقة الايمـان حتى باشروا روح اليقين ، فاستلانوا ما استخشن المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالرفيق الأعلى .

---

(٣٧) أحنائه : جوانبه ، فهو ينقاد لأهل الحق لا فهما للحق وايمانا به ولكن هو التقليد فحسب ، فهو لا يحمل بين جوانب نفسه بصيرة يميز بها بين الحق والباطل .

(٣٨) أى يؤثر الشك فى صدره عند ورود اى شبهة اليه ، ذلك لأن الايمان واليقين لم يتمكن فى قلبه .

(٣٩) سلس القيادة : سهل الانقياد .

(٤٠) الأنعام السائمة : الماشية والأغنام التى ترعى حيث شاءت . والمقصود هنا أنه ليس له انقياد للحق ، به هو منقاد لشهواته ونزواته حيثما كانت ، وقد يقلد أهل الحق فى شىء ثم ينكص على عقبيه فينقاد سهولة لأهل البـاطل .

يا كميل ، أولئك خلفاء الله فى أرضه ، والدعاة إلى دينه ، آه آه شوقا اليهم . انصرف يا كميل اذا شئت [٤١] .

* * *

٤ — من كلامه عليه السلام

فى آداب الحكماء والعلماء

« من حلم ساد ، ومن ساد استفاد ، ومن استحيا حرم ، ومن هاب خاب ، ومن طلب الرئاسة صبر على السياسة ، ومن أبصر عيب نفسه عمى عن عيب غيره ، ومن سل سيف البغى قتل به .

ومن احتفر لأخيه بئرا وقع فيها ، ومن نسى زلته استعظم زلة غيره ، ومن هتك حجاب غيره انهتكت عورات بيته ، ومن كابر فى الأمور عطب ، ومن اقتحم اللجج [٤٢] غرق .

ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تجبر على الناس ذل ، ومن تعمق فى العمل مل ، ومن صاحب الأنذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم .

ومن حسن خلقه سهلت له طرقه ، ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه ، ومن خشى الله فاز ، ومن استقاد الجهل ترك طريق العدل ، ومن عرف أجله قصر أمله :

---

(٤١) العقد الفريد — ابن عبد ربه الأندلسى — لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٠ م — (٢ / ٢١٢ — ٢١٣) .

(٤٢) اللجج : جمع لجة . ومنه لجة البحر : الماء الكثير الذى لا يرى طرفاه . فمن يدخل فى غمرة هذا الماء الكثيف يغرق . وكذا من دخل فى لج الأمور فى اختلاطها بشبهاتها وتفريعاتها يغرق فيها فلا يهتدى للحق منها .

ثم أنشأ يقول :

ألبس أخاك على عيوبه	واستر وغط على ذنوبه
واصبر على بهت السفيه	وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلا	وكل الظلوم الى حسبيه »[٤٣]

* * *

٥ حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أوصيكم عباد الله ونفسى بتقوى الله ولزوم طاعته ، وتقديم العمل ، وترك الأمل ، فانه من فرط فى عمله لم ينتفع بشىء من أمله .

أين التعب بالليل والنهار ، والمقتحم لجج البحار ، ومفاوز القفار[٤٤] ؟ يسير من وراء الجبال وعالج[٤٥] الرمال ، يصل الغدو بالرواح ، والمساء بالصباح فى طلب محقرات الأرباح ، هجمت عليه منيته ، فعظمت بنفسه رزيته ، فصار ما جمع بورا ، وما اكتسب غرورا ، ووافى القيامة محسورا[٤٦] .

أيها اللاهى الغار[٤٧] نفسه ، كأنى بك وقد أتاك رسول

(٤٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (٢/٤٢٠ — ٤٢١) .

(٤٤) المفاوز : الصحارى القفار المهلكة ، وقد سميت الصحراء مفازة لان من دخلها وخرج منها سالما فقد فاز ، والقفار : جمع قفرة ، وهى الأرض التى ليس بها نبات ولا ماء .

(٤٥) عالج الرمال : هو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه فى بعض .

(٤٦) محسورا : نادما اشد الندم على ما قدم واقترف من الذنوب وترك من الطاعات .

(٤٧) الذى يغر نفسه ويخدعها بجهله .

ربك (٤٨) ، لا يقرع لك بابا ، ولا يهــاب لك حجابا ، ولا يقبل منــك بديلا ، ولا يأخذ منك كفيــلا ، ولا يرحم لك صــغيرا ، ولا يوقر فيك كبيرا ، حتى يؤديك الى قعر مظلمة ، أرجاؤها موحشة ، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية ٠

أين من سعى واجتهد ، وجمع وعدد ، وبنى وشــيد ، وزخرف ونجد (٤٩) ، وبالقليل لم يقنع ، وبالكثير لم يمتع ؟ !!



٥ — وصــية أمير المؤمنين

على بن أبى طــالب لابنـــه الحسن

« من الوالد الفــانى ، المقر للزمان ، المــدبر للعمر ، المستسلم فيه للدهر ، الذام للدنيــا ، الساكن مساكن الموتى ، الظاعن اليهم عنها غــدا ، الى المولود المؤمل ما لا يدرك ، الســالك ســبيل من قد هلك ، عرض الأســقام ، ورهينـــة الأيام ، ورمية المصــائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحلف الهموم ، وقرين الأحزان ، ونصب الآفات ، وصريع الشهوات ، وخليفة الأموات ٠

أما بعد ، فان فيما قد تبينت من ادبار الدنيا عنى ، وجنوح (٥٠) الدهر على ، واقبــال الآخرة على ، ما يزعنى (٥١) عن ذكر ما سواى ، والاهتمام بما ورائى ، غير أنى حين تفرد بى دون هموم النــاس هم

---

(٤٨) يقصد ملك الموت .

(٤٩) التنجيد : هو تزيين البيوت بالفرش والوسائد والبسط وانواع الزينة المختلفة .

(٥٠) جنوح الدهر : ميله على الانسان بمصائبه ودواهيه ٠

(٥١) ما يزعنى : يكفنى ويزجرنى ٠

نفسى ، فصــدقنى رأيى ، وتصرف بى هــواى ، وضرح الى محض أمرى ، فأقصى بى الى جد لا يزرى [٥٢] به لعب ، وصــدق لايشوبه كــذب •

وجدتك — أى بنى — من بعضى ، بل وجدتك من كلى ، حتى كان شيئا لو أصــابك أصابنى ، وكأن الموت لو أتاك أتانى ، فعنــانى [٥٣] من أمرك ما عنانى من نفسى ، فكتبت اليــك كتابى هــذا ان أنا بقيت أو فنيت •

وانى أوصيك يا بنى بتقوى الله ، ولزوم أمره ، وعمــارة قلبــك بذكره ، والاعتصام بحبله فهو أوثق السبب بينك وبينه •

يا نى أحيى قلبــك بالموعظة ، وموته الزهــد ، وقوه باليقين ، وذلله بذكر الموت ، واكسره بالفنــاء ، وبصره فجائع الدنيــا ، وحذره صولة [٥٤] الدهر ، وفحش تقلب الأيام ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره ما أصاب من كان قبلك •

وسر فى ديارهــم ، واعتبر بآثارهم ، وانظر ما فعــلوا ، وعمن انتقلوا ، وأين حلوا ، فانك تجــدهم انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا دار الغربة ، وكأنك عن قليل قــد صرت كأحــدهم ، فأصــاح مثــواك ، واحرز [٥٥] آخرتك ، ودع القول فيما لا ترف ، والدخول فيما لاتكلف ، وأمسك عن السير اذا خفت ضلالة ، فان الكف عند حيرة الضلالة خير من ركوب الأهوال •

---

(٥٢) لا يتهاون ويتناقص به لعب .

(٥٣) فعنانى من امرك : نشق على واهمنى .

(٥٤) صولة الدهر : سطوته وقهره .

(٥٥) احرز اخرتك : اجعلهــا مقصدك دائما وضــمها اليك واحفظها ولا تفرط فيها .

وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكر المنكر بيــدك ولســانك ، وباثن (٥٦) من فعله بجهــدك ، وخفض الغمرات الى الحق ، وتفقه فى الدين ، وعود نفسك الصبر على المكروه ، وألجىء نفسك فى الأمور كلها الى الله ، فانك تلجئها الى كهف حريز (٥٧) ومانع عزيز .

وأخلص فى المسألة لربك ، فان بيــده العطاء والحرمان ، وأكثر الاستخارة ، وتفهم وصيتى لا تذهبن عنك صفحا (٥٨) .

أى بنى .. انى لمــا رأيتنى قــد بلغت سنا ، ورأيتنى ازددت وهنا ، بادرت وصيتى اياك خصالا منهن ان تعجل بى أجلى قبــل أن أقضى اليــك مافى نفسى ، وأنقص فى رأيى كمــا نقصت فى جسمى ، أو تسبقنى اليــك بعض غلبة الهوى وفتن الدنيــا ، فتكون كالصعب النفور (٥٩) .

وانما قلب الحدث (٦٠) كالأرض الخالية ، ما ألقى فيهــا من شىء قبلتــه ، فباكرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبــك ويشــغل لبــك (٦١) ، لتستقبل بجــد رأيك ما قــد كفاك تجربتــه ، فتكون قد كفيت مؤنة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة ، فأتاك من ذلك ما قــد كنا نأتيه ، واستبان لك ما ربما أظلم علينا فيه .

أى بنى ، انى لم أكن عمرت عمر من كان قبلى ، فقــد نظرت فى أعمارهم ، وفكرت فى أخبارهم ، وسرت فى آثارهم ، حتى عدت كأحدهم

---

(٥٦) اى فارق من فعل المنكر جهد طاقتك وبكل ما تملك من جهد .

(٥٧) اى محفوظ مصان منيع .

(٥٨) صفحا : جانبا . اى لا تدع وصيتى هذه تذهب عنك جانبا أو تبتعد عنك .

(٥٩) اى تنفر من نصيحتى فلا تقبلها .

(٦٠) الحدث : الشاب الحديث السن الصغير .

(٦١) لبك : عقلك .

بل كأننى لما قد انتهى الى من أمورهم قد عمرت مع أولهم الى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت من كل أمر نحيلته (٦٢) ، وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله .

ورأيت عنايتى بك واجبة على ، فجمعت لك ما ان فهمته أدبك ، فاغتنم ذلك وأنت مقتبل بين النية واليقين ، فعليك بتعليم كتاب الله وتأويله ، وشرائع الاسلام وأحكامه وحلاله وحرامه ، لا تجاوز ذلك قبله الى غيره .

فان أشفقت أن تلبسك شبهة لما اختلف فيه الناس من أهوائهم ورأيهم مثل الذى لبسهم ، فتقصد فى تعليم ذلك بلطف .

يا بنى ، وقدم عنايتك فى الأمر ليكون ذلك نظرا لدينك لا مماريا (٦٣) ولا مفاخرا ولا طالبا لعرض عاجلتك ، فان الله يوفقك لرشدك ، ويهديك لقصدك ، فاقبل عهدى اليك ، ووصيتى لك .

واعلم يا بنى أن أحب ما أنت آخذ به من وصيتى تقوى الله والاقتصار على ما افترض الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه أوائلك من آبائك ، والصالحون من أهل بيتك ، فانهم لم يدعوا أن ينظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم ذلك الى الأخذ بما عرفوا ، والإمساك عما لم يكلفوا .

فان أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم ما علموا فليكون طلبك ذلك بتعليم وتفهم وتدبر ، لا بتوارد الشبهات وعلم الخصومات .

وابدأ قبل نظرك فى ذاك بالاستعانة بالهك عليه ، والرغبة اليه ،

---

(٦٢) نحيلته : خلاصته . وهى مأخوذة من النحل الذى يأخذ من كل الأزهار والرياحين ويعطى لنا خلاصة هذا كله فى شكل عسل

(٦٣) المارى هو المجادل فى الباطل بغية الجدال والظهور لا طلبا للوصول للحق .

واحذر كل شــائبة أدخلت عليك شبهة ، وأسلمتك الى ضــلالة ، فاذا أيقنت أن قــد صفا قلــك فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ، كان همك فى ذلك هما واحدا ، فانظر فيما فسرت لك •

وان أنت لم يجتمع لـ ما تحب من فراغ نظرك فاعلم أنــك انمــا تخبط خبط عشواء ، وليس من طالب الدين من خبط ولا خلـ ، والامساك عند ذلك أمثل •

وان أول ما أبدؤك به فى ذلك وآخره أنى أحمد الله الهى والهك ، اله الأولين والآخرين ، رب من فى السماوات ومن فى الأرضين بما هو أهله ، وكما هو أهله ، وكما يحب وينبغى له ، وأســأله أن يصلى على نبينــا محمد ﷺ ، وأن يتم علينــا نعمه لــا وفقنــا من مسألتــه ، والاجابة لنــا ، فان بنعمته تتم الصالحات •

اعلم أى بنى أن أحدا لم ينبىء عن الله عز وجل كما نبــأ محمد ﷺ فارض به رائــدا ، فانى لم آلك نصــيحة ، ولم تبلغ فى ذلك ، وأنى اجتهدت مبلغى فى ذلك لعنــايتى وطول تجــربتى وان نظرى لك كنظرى لنفسى •

اعلم أن الله واحد أحــد صمد ، لا يضــاده فى ملكه أحد ، ولا يزول ولم يزل ، أول من قبل الأشــياء ، بلا أوليــة ، وآخر بلا نهاية، حكيم عليم قديم ، لم يزل كذلك •

فاذا عــرفت ذلك فافعــل كما ينبغى لمثلك فى صغر خطره ، وقلة مقــدرته ، وكثرة عجزه ، وعظيم حاجتــك الى ربك ، فاستعن بالهــك فى طلب حاجتــك ، وتقرب اليه بطاعتــه ، وارغب اليــه بقــدرته ، وارهب منه لربوبيتــه ، فانه حكيم لم يأمرك الا بحسن ، ولم ينهــك الا عن قبيح •

اجعل نفسك ميزانا بينك وبين غيرك ، وأحبب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، ولا تقل ما لا تعلم بل قل مما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك .

اعلم يا بنى أن الاعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب ، فاسع فى كدحك ، ولا تكن خازنا لغيرك ، فاذا هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك ، واعلم أن أمامك طريقا ذا مشقة بعيدة وأهوال شديدة ، وأنك لا غنى بك عن حسن الارتياد ، وقدر بلاغك من الزاد من خفة الظهر ، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك ، فيكون ثقله وبالاً عليك .

واذا وجدت من أهل الحاجة من يحمل لك زادك ، ويوافيك به حيث تحتاج اليه فاغتنمه ، واغتنم ما أقرضت من استقرضك فى حال غناك .

واعلم أن أمامك عقبة كئودا (٦٤) ، مهبطها على جنة أو على نار ، فارتد لنفسك قبل نزولك ، فليس بعد الموت مستعتب (٦٥) ، ولا الى الدنيا منصرف .

واعلم أن الذى بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك فى الدعاء ، وضمن الاجابة ، وأمرك أن تسأله فيعطيك ، وتطلب اليه فيرضيك .

وهو رحيم لم يجعل بينك وبينه حجابا ، ولم يلجئك الى من تشفع به اليه ، ولم يمنعك ان أسأت التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ،

---

(٦٤) العقبة الكئود : الشاقة الثقيلة .

(٦٥) اى ليس بعد الموت من استرضاء ، فقد مضى زمان العمل وجاء زمان الحساب حيث لا رجعة للدنيا .

ولم يؤيسك من رحمته ، ولم يسد عليك باب التوبة ، وجعل توبتك النزوع عن الذنب ، وجعل سيئتك واحدة ، وجعل حسنتك عشرا .

واذا ناديته أجابك ، واذا ناجيته علم نجواك ، فأفضيت اليه بحاجتك ، وأبثثته ذات نفسك ، وشكوت اليه همومك ، واستعنته على أمورك ، وسألته من خزائن رحمته ، التى لا يقدر على اعطائها غيره ، من زيادة الأعمار ، وصحة الأبدان ، وسعة الرزق ، وتمام النعمة .

فالحح فى المسألة ، فبالدعاء تفتح أبواب الرحمة ، ولا يقطنك[٦٦] ابطاء اجابته ، فان العطية على قدر النية ، فربما أخرت الاجابة متطول مسألة السائل فيعظم أجره ويعطى سؤله ، وربما ذخر ذلك له فى الآخرة ، فيعطى أجر تعبده ، ولا يفعل بعبده الا ماهو خير له فى العاجلة والآجلة ، ولكن لا يحد لطفه أحد ، ولا يعرف دقائق تدبيره الا المصطفون .

ولتكن مسألتك لما يبقى ويدوم فى صلاح دنياك ، وتسهيل أمرك وشمول عافيتك ، فانه قريب مجيب .

اعلم أى بنى أنك خلقت للآخرة لا للدنيا ، وللفناء لا للبقاء ، وانك فى منزل قلعة ، ودار بلغة ، وطريق الآخرة ، وانك طريدة الموت الذى لا ينجو منه هاربه ، ولا يفوته طالبه ، فاحذر أن يدركك وأنت على حال سيئة ، وأعمال مردية [٦٧] ، فتقع فى ندامة الأبد ، وحسرة لا تنفد ، فتفقد دينك لنفسك ، فدينك لحمك ودمك ، ولا ينقذك غيره .

---

(٦٦) القنوط : اليأس .

(٦٧) مردية : مهلكة .

أى بنى ، أكثر ذكر الموت وذكر ما تهجم عليـه ، ونفضى بعـد الموت اليه ، واجعله نصب عينيـ ، حتى يأتيـك ، وقـد أخـذت له حـذرك ، ولا يأتيـك بغتـة فيبهرك [٦٨] ، وأكثر ذكر الآخرة وكثرة نعيمها وحبورها [٦٩] وسرورها ودوامها وكثرة صـنوف لذاتها ، وقلة آفاتها اذا سلمت .

وفكر فى ألوان عذابها وشـدة غمومها ، وأصناف نكالها [٧٠] ان أنت تيقنت ، فان ذلك يزهـدك فى الدنيـا ، ويرغبـك فى الآخـرة ، ويصغر عنـدك زينة الدنيـا ، وغرورها وزهرتها ، فقد نبأك الله عنها، وبين أمرها وكشف عن مساويها .

فاياك أن تغتر بما ترى من اخلاد [٧١] أهلهـا اليهـا ، وتكالبهم عليها ككلاب عاوية وسباع ضـارية ، يهر [٧٢] بعضـهم الى بعض ، عزيزها ذليلهـا ، وكثيرها قليلهـا ، قـد أأضلت أهلهـا عن قصـد السبيل ، وسلكت بهم طريق العمى ، وأخـذت بأبصـارهم عن منهج الصـواب ، فتاهوا فى حيرتها ، وغرقوا فى فتنتها ، واتخذوها ربا [٧٣]، فلعبت بهم ولعبوا بهـا ونسوا ما وراءها ، فاياك يا بنى أن تكون مثل من قد شانته [٧٤] بكثرة عيوبها .

أى بنى ، انك ان تزهد فيما قد زهدتك فيـه من أمر الدنيـا ، وتعرض نفسك عنها ، فهى أهل ذلك ، فان كنت غير قابل نصحى اياك

---

(٦٨) فيقهرك ويغلبك .
(٦٩) الحبور : السرور .
(٧٠) النكال : العذاب .
(٧١) اخلاد أهلها : ركونهم الى الدنيا .
(٧٢) يهر : يكره بعضهم بعضا .
(٧٣) أصبحت الدنيا كل حياتهم ، حتى أنهم اعتبروها مصـدر الرى والهناء ، ومعلوم أن الرى هو سبب من أسباب استمرار الحياة .
(٧٤) شانته : تركت عيبا فيه ووصمته بالمعايب والمساوىء .

منهـا فاعلم يقينـا أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعـدو أجلك ، فانـك فى سبيل (٧٥) من قد كان قبلك ، فاجعل فى الطلب ، واعرف سبيل المكتسب، فانه رب طلب قـد جر الى حرب ، وليس كل طـالب يصيب ، ولا كل غائب يؤوب (٧٦) ، وأكرم نفسك عن كل دنية ، وان ساقتك •

أياك أن تعتـاض بما تبـذل من نفسك عوضا ، وقد جعلك الله به حرا ، وما منفعـة خير لا يدرك باليسـير ، ويسـير لا ينـال الا بالعسـير ، وايـاك أن توجف (٧٧) بك مطـايا الطمع ، فتـوردك مناهل (٧٨) الهلكة •

وان استطعت ألا تكون بينـك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فانـك مدرك قسمك وآخـذ سهمك ، وان اليسير من الله أعظم وأكرم ، وان كان كل من الله ، ولله المثل الأعلى •

واعلم أن لك فى يسير مما تطلب فتنـال من الملوك افتخارا وبيع عرضـك ودينـك عليـك عار ، فاقتصـد فى أمرك تحمد معقبة عقلك، انك لست بائعـا شـيئا من عرضـك ودينـك الا بثمن ، والمغبون من حرم نصيبه من الله ، فخذ من الدنيـا ما أتاك ، وتول عما تولى عنك •

فان أنت لم تفعل فأجمل فى الطلب ، واياك ومقـاربة من يشينك، وتبـاعد من السلطان ، ولا تأمن خـدع الشـيطان ، ومتى ما رأيت منكرا من أمرك فأصلحه بحسن نظرك ، فان لكل وصـف صفة ، ولكل

---

(٧٥) اى انك سائر فى نفس الطريق الذى سار فيه من كان قبلك وهو طريق الرحيل عن الدنيا مهما طال عمرك ، فهذا طريق كل حى .

(٧٧) يؤوب : يعود ويرجع الى اهله واحبابه .

(٧٨) توجف : تسرع . الوجيف : السير السريع .

(٧٨) المناهل : الموارد التى يستقى ويشرب منها الماء .

قول حقيقـــة ، ولكل أمرا وجهـــا ، ينـــال الأريب [٧٩] فيه رشـــده ، ويهلك الأحمق بتعسفه فيه نفسه .

يا بنى .. كم قد رأيت من قيـــل له تحب أن تعطى الدنيـــا بما فيهـــا مائة سنة بلا آفة ولا أذى ، لا ترى فيهـــا سوءا ، ويكون آخر أمرك عـــذاب الأبد ، فلا يقنع بهـــا ولا يريدها ، ورأيته قد أهلك دينه ونفسه باليسير من زينـــة الدنيا ، وهذا من كيد الشيطان وحبائله [٨٠] فاحذر مكيدته وغروره .

يا بنى .. أملك عليـــك لسانك ، ولا تنطق فيما تخاف الضرر فيه، فان الصمت خير من الكلام فى غير منفعة ، وتلافيك ما فرط من همتـــك أيسر من ادراكك ما فات من منطقك .

واحفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء [٨١] ، واعلم أن حفظ ما فى يديك خير من طلب ما فى يد غيرك ، وحسن التـــدبير مع الكفاف [٨٢] أكفى لك من الكثير فى الاسراف ، وحسن اليـــأس خـــير لك من الطلب الى النـــاس .

يا بنى .. لا تحـــدث عن غير ثقـــة فتكون كذابا ، والكذب داء فجانبه [٨٣] وأهله .

يا بنى .. العفة مع الشدة خير من الغنى مع الفجور ، من فكر أبصر ومن كثر خطؤه هجر ، رب مضيع ما يسره ، وساع فيما يضره ،

---

(٧٩) الأريب : العاقل .

(٨٠) حبائله : مصايده . مفردها حبالة .

(٨١) الوكاء : كل سير أو خيط يشد به فم السقاء أو الوعاء .

(٨٢) الكفاف من القوت : الذى يكون على قدر حاجة الانسان ويغنيه عن سؤال الناس فلا يزيد عنه شىء ولا ينقص .

(٨٣) جانبه : ابتعد عنه وعن أهله .

من خير حظ المرء قرين صـــالح ، فقارن أهل الخير تكن منهم ، وباثن أهل الشر تبن منهم •

ولا يغلبن عليك ســـوء الظن ، فانك لن تدع بينـــك وبين خليلك صلحا ، قد يقال من الحزم سوء الظن •

بئس الطعـــام الحرام ، وظلم الضعيف أفحش الظلم ، الفاحشة تقصم القلب ، اذ كان الرفق خرقا (٨٤) كان الخرق رفقا ، وربما كان الداء دواء ، وربما نصح غير الناصح وغش المتنصح •

اياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى (٨٥) ، ذك (٨٦) قلبك بالأدب كما تذكى النـــار الحطب ، ولا تكن كحاطب الليل وغثـــاء (٨٨) السيل •

كفر النعمـــة لؤم ، وصـــحبة الجـــاهل شـــؤم ، والعقل حفظ التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك ، ومن الكرم لين الشـــيم (٨٨) ، بادر الفرصة قبل أن تكون غصة ، ومن الحزم العزم (٨٩) ، ومن سبب الحرمان التوانى ، ومن الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد •

لكل أمر عاقبة ، فرب مشير بما يضر ، لا خير فى معين مهين ، ولا فى صـــديق ظنين (٩٠) ، لا تدع الطلب فيمـــا يحل ويطيب فلابد من بلغـــة (٩١) ، وسيأتيك ما قدر لك •

---

(٨٤) الخرق : الحمق والجهل .
(٨٥) النوكى : الحمقى . والأنوك : الأحمق .
(٨٦) ذك قلبك : أى اشعله واجعله متقدا بالأدب .
(٨٧) الغثاء : ما يحمله السيل ويسوقه أمامه من الزبد والوسخ وغيره .
(٨٨) الشيم : الصفات .
(٨٩) العزم : الاشتداد فى اخذ تعاليم الله بالحزم والعزم الأكيدين .
(٩٠) ظنين : كثير الظن فى الناس .
(٩١) البلغة : ما يتبلغ به من العيش بدون زيادة على الحاجة .

التاجر مخاطر ، من حام ساد ، ومن تفهم ازداد ، ولقاء أهل الخير عمارة القلوب ، ساهل ما ذل لك بقوة .

واياك أن تطمح بك مطية اللجاج ، وان قارفت سيئة فعجل محوها بالتوبة ، ولا تخن من ائتمنك وان خانك ، ولا تذع سرك وان أذاع سرك .

خذ بالفضل ، وأحسن البذل ، وأحبب للناس الخير ، فان هذه من الأخلاق الرفيعة ، وانك قلما تسلم ممن تسرعت اليه ، وكثيرا مايحمد من تفضلت عليه .

اعلم أى بنى أن من الكرم الوفاء بالذمم والدفع عن الحرم ، والصدود آية المقت [٩٢] ، وكثرة العلل آية البخل ، وبعض الامساك عن أخيك مع الالف خير من البذل مع الجنف [٩٣] ، ومن الكرم صلة الرحم ، والتحرم وجه القطيعة .

احمل نفسك من أخيك عند جموحه على البذل ، وعند تباعده على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند تحرمه على الاعتذار ، حتى كأنك له عبد ، وكأنه ذو نعمة عليك .

ولا تضع ذلك فى غير موضعه ، ولا تفعله بغير أهله ، ولا تتخذ من عدو صديقك صديقا ، فتعادى صديقك ، ولا تعمل بالخديعة فانها أخلاق اللئام ، وامحض [٩٤] أخاك النصيحة — حسنة كانت أم قبيحة — وساعده على كل حال ، وزل معه حيث زال ، ولا تطلبن منه المجازاة فانها من شيم الدناءة ، وخذ على عدوك بالفضل ، فانه أحرى للظفر .

---

(٩٢) المقت : المكره .
(٩٣) الجنف : الميل عن الحق والظلم .
(٩٤) امحض أخاك النصيحة : اخلص له النصيحة .

لا تصرم [٩٥] أخاك على ارتيـــاب ، ولا تقطعه دون استعتاب ، وان من غالظك فانه يوشــك أن يلين ، ما أقبح القطيعـــة بعد الصلة ، والجفـــاء بعد اللطف ، والعـــداوة بعد المودة ، والخيانة لمن ائتمنك ، وخلف الظن لمن ارتجاك ، والغرر بمن وثق بك •

وان أردت قطيعـــة أخيك فاستبق له من نفسك بقية ، ومن ظن بك خيرا فصـــدق ظنه ، ولا تضيعن بر أخيك اتكالا على ما بينك وبينه ، فانه ليس لك بأخ من أضعت حقه •

لا يكون أهلك أشقى النـــاس بك ، ولا ترغبن فيمن زهد فيك ، ولا تزهدن فيمن رغب اليك ، اذا كان للخلط موضـــعا لا يكونن أخوك أقوى على قطيعتـــك منك على صلتـــه ، لا يكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان اليـــه ، ولا عاى البخل أقوى منك على البذل ، ولا على التقصير أقوى منك على الفضل •

لا يكثرن عليـــك ظلم من ظلمـــك ، فانه يسعى فى مضرته ونفعك ، وليس جزاء من سرك أن تسوءه •

اعلم أى بنى أن الرزق رزقان ، رزق تطلبـــه ورزق يطلبك ، فان لم تأته أتاك ، واعلم أن الدهـــر ذو صروف ، فـــلا تكونن ممن يسبك لاعنة للدهر ومحفلا عند الناس عذره •

ما أقبح الخضـــوع عند الحاجة ، والجفـــاء عند الغنى ، انمـــا لك من دنيـــاك ما أصلحت به مثواك ، فأنفـــق يسرك ، ولا تكن خازنا لغيرك ، فان كنت جازعا مما تفلت من يديك فاجزع على ما لا يصـــل اليـــك •

---

(٩٥) لا تصرم اخاك : أى لا تقطع علاقتك به ومودتك له لمجرد الشك والظن .

استدل على ما لم يكن بما قد كان ، فان الأمور أشباه يشبه بعضها بعضا ، ولا تكفرن ذا نعمة فان كفر النعمة من قلة الشكر ولؤم الخلق ، وأقلل العذر ، ولا تكونن ممن لا تنفعه العظلة الا اذا بلغت فى الملامة ، فان العاقل يتعظ بالقليل ، والبهائم لا تنفع الا بالضرب .

واتعظ بغيرك ، ولا يكونن غيرك متعظا بك ، واحتذ بحذاء [٩٦] الصالحين ، واقتد بآدابهم ، وسر بسيرتهم ، واعرف الحق لمن عرفه لك رفيعا كان أو وضيعا ، واطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر .

من ترك القصد جار ، نعم حظ المرء القناعة ، شر ما أشعر قلب المرء الحسد ، فى القنوط التفريط ، وفى الخوف من العواقب البغى ، الحسد لا يجاب الا مضرة وغيظا يوهن قلبك ويمرض جسمك ، فاصرف عنك الحسد تغنم ، وأنق صدرك من الغل تسلم .

وارج من بيده خزائن الأرض والأقوات والسماوات ، وسله طيب المكاسب تجده منك قريبا ولك مجيبا ، الشح يجلب الملامة ، والصاحب الصالح مناسب ، والصديق من صدق غيبه ، والهوى شريك العمى ، ومن التوفيق سعة الرزق .

نعم طارد الهموم اليقين ، وفى الصدق النجاة ، عاقبة الكذب شر عاقبة ، رب بعيد أقرب من قريب ، وقريب أبعد من بعيد ، والغريب من لم يكن له حبيب ، من تعدى الحق ضاق مذهبه ، من اقتصر على قدره كان أبقى له ، ونعم الخلق وأوثق العرى التقوى ، من أعتبك [٩٧] قد هوى ، وقد يكون اليأس دراكا اذا كان الطمع هلاكا .

---

(٩٦) أى اقتد بهدى وعمل الصالحين .

(٩٧) أعتبك : رجع الى ما أرضاك عنه بعد ان ترك ما كنت تاخذه عليه واستخطك عليه .

كم من مريب قد شقى به غيره ونجا هو من البلاء ، جانيك من يجنى عليك ، وقد تعدى الصحاح مبارك [٩٨] الجرب ، وليس كل عورة تظهر ، ربما أخطأ البصير قصده ، وأصاب الأعمى رشده ، ليس كل من طلب وجد ، ولا كل من توقى نجا .

أخر الشيء فانك اذا شئت عجلته ، أحسن ان أجببت أن يحسن اليك احتمل أخاك على كل ما فيه ، ولا تكثر العتاب فانه يورث الضغينة ويجر الى المغضبة ، وكثرته من سوء الأدب ، استعتب من رجوت صلاحه .

قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل ، من كابد الحزبة [٩٩] عطب ، ومن لم يعرف زمانه حرب [١٠٠] ، ما أقرب النقمة من أهل البغى . وأخلق [١٠١] من غدر أن لا يوفى له ، زلة العالم أقبح زلة ، وعلة الكذاب أقبح علة .

الفساد يبين الكثير ، والاقتصاد يثمر القليل ، والقلة ذلة ، وبر الوالدين أكرم الطبائع ، والخوف شر لحاف ، والزلل مع العجلة ، لا خير فى لذة تعقب ندامة .

العاقل من وعظته التجربة ، ورسولك ترجمان عقلك ، وكتابك أحسن ناطق عنك ، فتدبر أمرك وتقصر شرك .

الهدى يجلو العمل ، وليس مع اختلاف ائتلاف ، ومن حسن العمل

---

(٩٨) الصحاح : هى الابل السليمة الصحيحة التى لم تصب بالجرب ، والمبارك هى مواضع بروك الابل . والجرب : هى الابل التى قد أصيبت بالجرب .

(٩٩) الحزبة : العصبة المجتمعة .

(١٠٠) حرب : سلب ونهب .

(١٠١) اى احرى به واجدر .

اقتصاد (١٠٢) حال الجبار ، لن يهلك من اقتصد ، ستر المرء وخبيئه ، ورب باحث عن حتفه ، وليس كل من ينظر بصيرا •

رب هزل صار جدا ، من ائتمن الزمان خانه ، ومن تعظم عليه أهانه ، ومن لجأ اليه أسلمه ، ليس كل من رمى أصاب ، واذا تغير السلطان تغير الزمان ، وخير أهلك من كفاك ، المزاح يورث العداوة ، والحقد أعذر من اجترأ وربما أكدى الحق •

رأس الدين صحة اليقين ، وتمام الاخلاص تجنب المعاصي ، وخير القول الصدق ، والسلامة مع الاستقامة ، سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار •

كن من الدنيا على بلغة (١٠٣) ، احمل لمن دل عليك ، واقبل عذر من اعتذر اليك ، وارحم أخاك وان عصاك ، وصله وان جفاك ، وعود نفسك السماح ، وتخير لها من كل حال أحسنه •

لا تتكلم بما يرديك ولا ما كثيره يزريك (١٠٤) ، أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك •

أي بني ، اياك ومشاورة النساء الا ما جربت بكمال ، فان رأيهن يجر الى من ، وعزمهن الى وهن ، أكفف عليهن من أبصارهن بحجابك اياهن ، فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب ، وليس خروجهن بأشد عليك من دخول من لا تثق به عليهن ، فان استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل •

أقلل الغضب ، ولا تكثر العتاب في غير ذنب ، فان المرأة ريحانة

(١٠٢) أى يتعرف احوال جاره وليعينه ويقوم بأمره .
(١٠٣) هى ما يتبلغ الانسان به فى حياته فلا يزيد عن حاجته شىء
(١٠٤) يزريك : اى يجعلك محتقرا بين الناس فيتهاونون بشأنك

وليست بقهرمانة [١٠٥] ، وأحسن لماليكك الأدب ، وان أجرم أحد منهم جرما فأحسن العفو ، فان العفو مع العز أشـد من الضرب لمن كان له قلب ، وخف القصاص ، واجعل لكل امرىء منهم عملا تأخذه به ، فانه أحرى أن لا يتواكلوا .

وأكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير ، وأصلك الذى اليه تصير ، فانك بهم تصـول وبهم تطول ، وهم العمدة [١٠٦] عند الشدة ، أكرم كريمهم ، وعد [١٠٧] سقيمهم ، وأشركهم فى أمورهم ، ويسر عن معسرهم ، واستعن بالله على أمرك كله ، فانه أكرم معين .

استودع الله دينك ودنياك والسلام .



من خطب أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب رضى الله عنـه

١ — خطب عمر بن الخطاب اذ ولى الخلافة ، فصـعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أيها النـاس ، انى داع فأمنوا : اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الغلظة والشدة على أعـدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا

(١٠٥) القهرمانة : القهرمانة فى اللغة هو الحافظ الوكيل لما تحت يديه من أموال وغيرة والقائم بأمور الرجل ، والمقصود أن المرأة ليست هكذا ، وانما هى تحتاج لمن يقوم بأمرها .

(١٠٦) العمدة : ما يعتمد عليه ، وعشيرة الانسان وقومه هم الذين يعتمد عليهم عندما تنزل به الشدائد والمصائب وتلم به الفواجع .

(١٠٧) اى زر من يمرض منهم .

اعتداء عليهم ، اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ، واجعلنى ابتغى بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم انى كثير الغفلة وانسيان فالهمنى ذكرك على كل حال ، وذكر الموت فى كل حين .

اللهم انى ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقنى النشاط فيها ، والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون الا بعزتك وتوفيقك . اللهم ثبتنى باليقين ، والبر ، والتقوى ، وذكر المقام بين يديك والحياء منك ، وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى ، والمحاسبة لنفسى ، وصلاح النيات ، والحذر من الشبهات .. اللهم ارزقنى التفكر ، والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، انك على كل شىء قدير .

٢ — عن سعيد بن المسيب قال : لما ولى عمر بن الخطاب خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أيها النـاس ، انى علمت أنكم كنتم تؤنسون منى شدة وغلظة ، وذلك أنى كنت مع رسول الله ﷺ ، وكنت عبده وخادمه ، وكان كما قال الله تعالى : « **بالمؤمنين رءوف رحيم** » فكنت بين يديه كالسيف المسلول الا أن يغمدنى أو ينهانى عن أمر فأكف ، والا أقدمت على النـاس لمكان لينه ، فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عنى راض والحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به أسعد ، ثم قمت ذلك المقام مع أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ بعده ، وكان كما قد علمتم فى كرمه ودعته ولينه ، فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شدتى بلينه الا أن يتقدم الى فأكف ، والا أقدمت ، فلم أزل على ذلك حتى توفاه الله ، وهو عنى راض ، والحمد لله على

ذلك كثيرا وأنا به أسعد ... ثم صار أمركم الى اليوم ، وأنا أعلم، فسيقول قائل : كان يشتد علينا والأمر الى غيره فكيف به اذ صار اليه ؟! واعلموا أنكم لا تسألون عنى أحدا ، قد عرفتمونى وجربتمونى وعرفتم من سنة نبيكم ماعرفت. وما أصبحت نادما على شيء أكون أحب أن أسأل رسول الله ﷺ الا وقد سألته ... فاعلموا أن شدتى التى كنتم ترون ازدادت أضعافا اذ صار الأمر الى على الظالم ، والمتعدى ، والأخذ للمسلمين اضعيفهم من قويهم، وانى بعد شدتى تلك واضع خدى بالأرض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم ، وانى لا آبى — ان كان بينى وبين أحد منكم .

٣ — أوصى عمر رضى الله عنه ، الخليفة من بعده فقال :

« أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيرا : أن تعرف لهم سابقتهم. وأوصيك بالأنصار خيرا ، فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم وأوصيك بأهل الأمصار خيرا ، فانهم ردء (الاسلام) ، وجباة الأموال والفيىء ، لا تحمل فيئهم الا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيرا ، فانهم أصل العرب، ومادة الاسلام : أن تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيرا : أن تقاتل من ورائهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، اذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعا ، أو عن يد ، وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله ، وشدة الحذر منه ، ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله فى الناس ، ولا تخشى الناس فى الله ، وأوصيك بالعدل فى الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم فان ذلك — باذن الله — سلامة لقلبك ، وحط لوزرك ، وخير فى عاقبة أمرك ، حتى تفضى من ذلك الى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك . وأمرك أن تشتد فى أمر الله ، وفى حدوده ومعاصيه على قريب الناس

وبعيدهم ، ثم لا تأخذك فى أحـد الرأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرمه .

واجعل النـاس سواء عندك لا تبـالى على من وجب الحق ولا تأخـذك فى الله لومة لائم ، وإياك والأثرة ، والمحاماة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجور وتظلم وتحرك نفسك من ذلك ماقد وسعه الله عليك .

وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيـا والآخـرة ، فان إقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك اقترفت ايمانا ورضوانا ، وان غلبك عليه الهوى ، ومالت بك شهوة إقترفت به سخط الله ، ومعاصيه .

وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك فى ظلم أهل الذمة وقـد أوصيتك وحضضتك ونصحت لك ابتغى بذلك وجه الله والدار الآخرة. واخترت من دلالتك ماكنت دالا عليـه نفسى وولدى فان عمات بالذى وعظتك ، وانتهيت الى الذى أمرتك أخـذت به نصيبا وافرا ، وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهمك ، ولم تنزل معـاظم الأمور عنـد الذى يرضى الله به عنـك يكن ذلك بك انتقاصـا ، ورأيـك فيـه مدخولا ، لأن الأهواء مشتركة ، ورأس كل خطيئـة والداعى الى كل هلكة ابليس ، وقـد أضل القرون السالفـة قبلك ، فأوردهم النـار ، وبئس الورد المورود ولبئس الثمن أن يكون حظ امرىء موالاة لعـدو الله والداعى الى معاصـيه !

ثم اركب الحق وخض اليه الغمرات وكن واعظا لنفسك .

وأنشـدك الله لمـا ترحمت على جماعة المسلمين فأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضربهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفيىء فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم،

ولا تجمرهم فى البعوث فتقطع نسلهم ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قويهم ضعيفهم .

هذه وصيتى اياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السلام » .

* * *

٤ ـ كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص ، رضى الله عنهما ، ومن معه من الأجناد :

أما بعد فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب .

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا .

واعلموا أن عليكم فى مسيرتكم حفظة من الله يعلمون ماتفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله ، وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا : ان عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا وان أسأنا ! فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس : « **فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا** » .

واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم .

وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم ، والسفر لم ينقص قوتهم، فانهم سائرون الى عدو مقيم حامى الأنفس والكراع [١] ، وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم [٢] وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه ، ولا يرزأ [٣] أحدا من أهلها شيئا فان لهم حرمة وذمة ، ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح [٤] ، واذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم [٥] ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن الى نصحه وصدقه ، فان الكذوب لاينفعك خبره ، وان صدقك فى بعضه ، والغاش عين عليك ، وليس عينا لك ، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا [٦] بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم وموقفهم ، وتتبع الطلائع [٧] عوراتهم ، وانتق للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فان لقوا عدوا كان أول ماتلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا الى أهل الجهاد والصبر على الجلاد ، لا تخص بها أحدا بهوى ، فيضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ولا تبعثن طليعة ولا سرية فى وجه تتخوف عليها فيه

---

(١) الكراع : الخيل والسلاح .

(٢) اى يصلحون ما فسد منها .

(٣) يرزأ : ينقص او يأخذ منه شيئا .

(٤) اى لا تطلبوا النصر على اعدائكم بظلم اهل الصلح .

(٥) اذاك العيون : اى أرسل إليهم من يتلقط أخبارهم ويعرف أسرارهم .

(٦) السرايا جمع سرية : والسرية قطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس الى ثلاثمائة .

(٧) الطلائع : جمع طليعة والطليعة : مقدمة الجيش ومن يبعث قدامه ليطلع على أسرار العدو .

غلبة أو ضيعة ونكاية ، فاذا عاينت العدو فاضمم اليك قاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع اليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة [٨] مالم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتلة [٩] ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها بها فتصنع بعدوك كصنعة بك ، ثم أذك أحراسك على عسكرك ، وتيقظ من البيات [١٠] ولا تؤتى بأسير ليس له عقد [١١] الا ضربت عنقه لترهب بذلك عدو الله وعدوك ، والله ولى أمرك ، ومن معك ، وولى النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان » .

* * *

٥ — كتب عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، الى أبى موسى الأشعرى — رواها ابن عيينة :

« أما بعد فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك الخصم ، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس [١٢] بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك [١٣] ولا يخاف ضعيف من جورك .. البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس ، ثم راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه ، فان الحق قديم (لايبطله شىء)

---

(٨) المناجزة : القتال والنزال .

(٩) المقاتل : جمع مقتل وهو الموضع الذى اذا أصيب فيه الانسان أو الحيوان لا يكاد يسلم .

(١٠) البيات : الايقاع بالعدو ليلا بغتة .

(١١) عقد : عهد .

(١٢) آس : سو بين الناس .

(١٣) الحيف : الظلم .

والرجوع اليه خير من التمادى على الباطل ، الفهم فيما يتلجلج [١٤] فى صدرك مما لم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ واعرف الأمثال والأشباه وقس الامور عند ذلك ، ثم اعمد الى أحبها عند الله ورسوله وأشبهها بالحق ، واجعل (لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهى اليه) فان أحضر بينة أخذت له بحقه ، والا وجهت عليه القضاء ، فان ذلك أجلى للعمى ، وأبلغ فى العذر .

والمسلمون عدول [١٥] بعضهم على بعض الامجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا [١٦] فى ولاء أو قرابة ، أو نسب ، فان الله ، عز وجل ، ولى منكم السرائر ، ودرأ [١٧] عنكم بالبينات والأيمان .

ثم اياك والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحقوق التى يوجب الله عز وجل بها الأجر ، ويحسن بها الذخر ، فانه من تخلص نيته فيما بينه وبين الله ، ولو على نفسه يكفيه الله مابينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره » .

وقال رضى الله عنه :

« تعلموا العلم وعلموه الناس وتعلموا له الوقار والسكينة وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم ، وتواضعوا لمن عممتموه العلم ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ، فلا يقوم علمكم بجهلكم » .

---

(١٤) أى يتردد فى صدرك ويقلق ولم يستقر .

(١٥) عدول : جمع عدل وهو المرضى الحكم او الشهادة

(١٦) الظنين : المتهم وكل ما لا يوثق به .

(١٧) درا : دفع .

وقال رضى الله عنه :

« كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم وسلوا الله رزق يوم بيوم ولا يضركم أن لا يكثر لكم » ٠

فهرست الكتاب

الموضــــوع | الصفحة

الموضــــوع	الصفحة
تمهيــــد	٦٠
اولا : دستور المرافعــة	٦٠
ثانيا : كيفية قهر القلق عند المرافعة . .	٦٦
الفصل الرابع : مرافعات النصف قرن الاولى من القضاء . . .	٦٩
قضية مقتل المرحوم بطرس غالى باشا	٦٩
دفاع الأستاذ/محمود بك أبو النصر	٧٢
دفاع الأستاذ/أحمــد لطفى بك المحامى . . .	٧٤
مرافعة الأستاذ/ ابراهيم الهلبــاوى المحامى . .	٧٦
مرافعة صاحب السعادة/عبد الخالق ثروت باشا .	٧٨
مرافعة الأستاذ/محمد طاهر نور	٨٤
مرافعة الأستاذ/ابراهيم الهلباوى عن شفيق منصور	٨٨
مرافعة الأستاذ/وهيب دوس	٩٢
مرافعة مصطفى حنفى رئيس نيابة الاستئناف . .	٩٧
دفاع الأستاذ/مكرم عبيــد	١٠٠
دفاع الأستاذ/مصطفى حنفى بك	١٠٤
مرافعة الأستاذ/صادق العجيزى	١٠٨
مرافعة الأستاذ/عبد اللطيف محمود	١٠٩
مرافعة الأستاذ/عمر عــارف	١١٢
مرافعة الأستاذ/عبد اللطيف محمود	١١٩
مرافعة النائب العام محمد لبيب عطيــة . . .	١٢٣
من خطب الامام على رضى الله عنه	١٢٩
١ — خطبــة الزهراء	١٢٩
٢ — خطبــة جامعة لخصال الخير	١٣٥
٣ — وصية الجامعة لكميل	١٣٩
٤ — من كلامة فى آداب الحكماء والعلماء . . .	١٤١
٥ — من وصية لابنه الحسن	١٤٣
من خطب امير المؤمنين عمر بن الخطاب	١٥٩
فهرســت الكتــاب	١٦٩

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٢/٨٩٣١

الرقم الدولى
I.S.B.N.
977— 00 — 4293 — 5

مطــابع الدار البيضـــاء
الحاج احمد سعد الأبيض وابناؤه
١٨ شارع مستشفى الدمرداش بالعباسية ت ٢٨٢٥٠٤٦

مطـــابع الدار البيضـــاء
(مركز جمـــع آلى)
الحاج أحمد سعد الأبيض وأبنائه
القاهرة ـــ العباسية ١٨ ش مستشفى الدمرداش ت ٢٨٢٥٠٤٦